علاقة الشعر بالإعلام في عصري الجاهلية وصدر الإسلام

د.فريد عبد الظاهر سعيد
كلية التربية –جامعة أسيوط
فـــرع الـــــــوادي الجديد

الحقيقة المؤكدة أن وسائل الإعلام بمختلف أشكالها كثيرة ومتعددة، وهي مع اختلافها، وتعددها بين توافق واختلاف وفقاً للعصر والبيئة، ومن ذلك ما أكدته المصادر والمراجع والنصوص التاريخية من اختلاف وتباين ما كان في الجاهلية وما صارت إليه في ظل الإسلام.

"والإعلام لم يكن وليد عصر من العصور أو حضارة من الحضارات، فلا يوجد مجتمع من المجتمعات مهما تفاوتت درجة تقدمه أو تخلفه، كما لا يوجد زمن من الأزمنة قديماً أو حديثاً أو وسيطا إلا واحتل الإعلام مكانه فيه، لأن الإنسان بطبيعته لا يستطيع الاكتفاء بالأخبار الشخصية فقط، أو أخبار المجتمع المحدود الذي يحيا بداخله مثل مجتمع الفردية أو القبلية أو الأسرة، وذلك لأنه من الصعب أن تسير الحياة دون أن يتصل الناس بعضهم ببعض" (١)

فرغم اختلاف الإعلام ووسائله غير أن الشعر قد حقق انتشاراً واسعاً في هذه الفترة، مما أدى به إلى أن يحقق هدفه المرجو ، وما ترتب على ذلك من إرسائه لهذه الواقعية من خلال هذه الوسائل البدائية.

وكان الإعلام في هذه الفترة إعلاما نظرياً ارتجاليا ينتقل عبر وسائل البيئة، وعن طريق المشافهة، والتنقل والتجارة، وكان ينتقل بصورة صادقة عن طريق

---

(١) محي الدين عبد الحليم: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، دار نافع للطباعة مصر ط ١ ، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠م ص ١٥

المحادثة والمناظرة، وكانت اللغة هي الأداة الطيعة للنقل والأخبار، فنرى الشاعر ينقل تصوراته للآخرين، ويحقق رغباته، ويتخذها وسيلة للتفاعل مع المحيطين به.

"وللشعر العربي وظيفة إعلاميه جيدة لها مكانتها المتقدمة عند العرب، فلقد شغف العرب بكلماته وتأثروا ببديع معانيه وجرسه الموسيقى وقوة إيقاعه وبلاغته وإيجازه وإنشاده وغنائه، كل ذلك هيأ له المكانة اللائقة في المجتمع العربي، لذا كانت العرب يتفاخر بعضها بعضاً بما عندها من الشعراء ومن كان له شاعر فحل لا يعد له بألف فارس لماله من التأثير في رفع قيمة القبيلة سلماً وحرباً، ولكم سمعنا على مر التاريخ حوادث كثيرة كان سببها قصيدة قيلت في ملائمة الناس أو بيت شعر انشده شاعر بمناسبة فتناقله الركبان في كل مكان."(١)

إن صورة الإعلام فيها اعتماد كبير على التاريخ والإنسان، فنرى من خلالها الشاعر مؤرخاً للقوم، لأنه يصور مجد القبيلة معدداً ماضيها وحاضرها، وأصالتها، فيذكر الحروب والانتصارات التي حققتها القبيلة، عن طريق الشعر، فهو الوسيلة الوحيدة آنذاك.

"ومن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك باسمه، وبنسبه إلى أمه، ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أهل السوقة، فلا ينكر ذلك عليه، بل يراه أوكد في المدح، وأعظم اشتهاراً للممدوح، كل ذلك حرص على الشعر، ورغبه فيه، ولبقائه على مر الدهور واختلاف العصور." (٢)

---

(١) محمد منير الجنبار: الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين ــ مطابع الفرزدق التجارية ــ الرباط ط ١ ــ ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م ص ٢٥

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده ص ١ ، دار الجيل ــ ط ٥ ١٤٠١هـ ١٩٨١ م تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٢٢

إن وسائل الإعلام في هذه الفترة كثيرة متعددة منها أيام الحرب والأسواق الأدبية والغزوات والفتوحات.

"ولم يكن الشعر العربي في هذه الأزمان يفهم من مدلول الشعر ما نفهم منه اليوم، بعد أن حددناه بحدود من الأوزان والقيود.

فقد كان مدلوله في نفسه أعم وأشمل، كان الشعر عنده ضرباً من الكلام المنغم المثير تتعاطاه طائفة ممتازة من بينهم، اصطلحوا على تسميتهم بالشعراء، لأنهم علموا ما لا يعلمون، وفطنوا إلى مالا يفطنون فقد كان عندهم كل علم شعراً"(١)

فكان الشعر وسيلة للإعلام في هذه الفترة، متوائما وظروف الحياة التي عاشها العرب.

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى إبراز علاقة الشعر بالإعلام في عصري الجاهلية وصدر الإسلام، وان الإعلام موجود منذ القدم، إلا أنه كان بصوره المختلفة ووسائله المتعددة، التي تتناسب وظروف هذه الفترة، فكان الشعر وسيلة من وسائل الإعلام ، ومن خلاله ظهر الإعلام لذا كانت رؤيتي أن أقف أمام هذه الدراسة، كما تهدف هذه الدراسة إلى ارتباط الشاعر بالجوانب الاجتماعية المحيطة به في حياته وظروفه

عناصر الموضوع:

١) حجم المادة العامية ومصادرها

٢) المنهج المتبع في البحث

---

(١) محمد محمد حسين : الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر ، ط٣ ، ١٣٨٩هـ ١٩٧١م ، ص ٥٣

٣) أشهر الشعراء الذين برزت عندهم جوانب الإعلام وسبب الوقوف عندهم.

١- عمرو بن كلثوم

٢- عنترة بن شداد

٣- زهير بن أبي سلمي

٤- حسان بن ثابت الأنصاري

٥- كعب بن مالك

٦- عبد الله بن رواحة

٤) الثوابت والمتغيرات

٥) الألفاظ والمصطلحات

٦) النتائج

حجم المادة العلمية

تبلغ المادة العلمية قرابة مائة وخمسين بيتاً من الشعر موزعة على المصادر والدواوين الشعرية الخاصة بالشعراء الذين وقفنا عندهم.

المنهج المتبع:

مناهج الدراسة الأدبية كثيرة ومتعددة لا غنى عن أي منهج منها، فهي عدة للباحث في جوانب البحث، وهي التاريخي، والاجتماعي،و النفسي ، والتكاملي.

بالنسبة للمنهج التاريخي، ويعني فيه الوقوف أمام تاريخ هذا العصر يبرز فيه الباحث الجوانب السياسية، ويبرز من خلاله طبيعة المجتمع وجوانبه التاريخية، أما المنهج الوصفي، وهو يدور حول طبيعة الأفراد في المجتمع وتأثير الأدب فيهم "

وهو أول وهلة المناهج منذ التفت علماؤنا إلى أهمية دراسة الأدب العربي دراسة منهجية على نحو ما يفعل المستشرقون"[١]

والمنهج الاجتماعي يري الأدب في المجتمع، ويمكن أن يدرس المجتمع بعناية من خلال خطط ثلاث:

- **أولا:** المجتمع الواقعي، حيث يظهر الكاتب، وحيث أنتج مجمله.
- **ثانياً:** المجتمع الذي ينعكس مثالياً في نطاق العمل نفسه.

وأخيرا قد يكون عبارة عن أدب العادات: سياسياً أو هاجيا أو أخلاقيا أو خطة إصلاح اجتماعي في العمل"[٢]

أما المنهج النفسي فهو المنهج الذي نرى من خلاله طبيعة الشاعر وأناة الداخلية "وهو منهج أخذ يجذب إليه اهتمام الباحثين في الأدب العربي في السنوات الأخيرة بعد أن تقدمت الدراسات النفسية وتعددت مدارسها وأخذت تفرض نفسها على كثير من مجالات الإنسانية، وبعد أن أخذ العلماء يرون فيها وسيلة جديدة لمعرفة النفس الإنسانية، والتغلغل في أغوارها السحيقة، والتعمق في سراديبها الغامضة و كهوفها المجهولة، وما تنطوي عليه من غرائز وعواطف ومكبوتات تؤثر شعورياً ولاشعورياً في تصرفات الإنسان وسلوكه" [٣]

أما المنهج التكاملي، والذي ارتضيه لنفسي في هذا البحث، فهو منهج شامل لدراسة الظواهر الأدبية.

---

(١) انريك أندرسون إمبرت : مناهج النقد الأدبي ، دار المعارف المصرية ، ط ٢ ، ١٩٩٢م مصر ، ترجمة أ.د. الطاهر أحمد مكي ــ ص ١١٨

(٢) يوسف خليف : مناهج النقد الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر ١٩٩٧ ، ص ٣٩

(٣) يوسف خليف: مناهج النقد الأدبي ــ مرجع سابق ص ٤٦ ، ٤٧

"إن الباحث الأدبي ينبغي أن يستضيء في عمله بكل المناهج والدراسات السابقة، إذ لا يكفي منهج واحد ولا دراسة واحدة لكي ينهض بعمله على الوجه الأكمل، بل لابد أن يستعين بها جميعاً، حتى يمكن أن يضطلع ببحث أدبي قيم،ولعل في تعددها ما يشهد بأن الآثار الأدبية كنوز حافلة بجوانب وفيرة . وأيضا لعل في تعددها ما يشهد بان منهجاً واحداً لا يغني غناء تاما في البحوث الأدبية، فلابد أن يتحول عقل الباحث إلى ما يشبه مرآه تعكس أضواء كل تلك المناهج." (١)

إذ لا يغني في استخدام أي منهج من مناهج الدراسات الأدبية فهي تكمل بعضها البعض، وهي عدة للباحث يعتمد عليها.

أشهر الشعراء الذين برزت عندهم جوانب الإعلام وسبب اختيارنا لهم:

١) عمرو بن كلثوم:

من شعراء الطبقة الأولى فارساً وشاعراً، صاحب مواقف مع قومه.

"هو أحد قتال العرب الذي فتك بعمرو بن هند" (٢)

" قال أبو عمرو الشيباني: كانت بنو تغلب بن وائل من أشد الناس في الجاهلية ، وقالوا: لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس." (٣)

وشاعر مثل عمرو بن كلثوم له مكانته في هذه الفترة على الرغم من أن معظم شعره ضاع فلم يصل إلينا إلا القليل منه مثل المعلقة التي بلغت ألف بيت من الشعر ولم يصل إلينا إلا العشر منها، وهناك مقطوعات صغيرة من أشعاره.

---

(١) شوقي ضيف : البحث الأدبي، طبيعته ، مناهجه ، أصوله، مصادره ، دار المعارف مصر ط ٦ ص ١٤٤، ١٤٥

(٢) أحمد الأمين الشنقيطي: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص ٣١

(٣) الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ص ٣١٨

"وتعتبر معلقة عمرو بن كلثوم من أجود القصائد العربية" (١)

"وكان أبو عبيدة يقول: هو أجودهم واحدة اى قصيدة.

قال : وذكر ابن عثمان عن مطرف قال : كان عيسي بن عمر يقول : "لله درعمروبن كلثوم، أي حلس شعر، وأي وعاء علم لو أنه رغب فيما رغب فيه أصحابه من الشعر! وإن واحدته لأجود سبعهم.

قال مطرف وبلغني عن عيسي بن عمر ، وأظن أني سمعته منه ، كان يقول: لو وضعت أشعار العرب في كفة، وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة لمالت بأكثرها". (٢)

كذلك في هذه المعلقة نرى تفاخر الشاعر بقومه بني تغلب، وفيها الدفاع عنهم، وعن مواقفهم وحروبهم ومكانتهم منذ القدم من حيث الأصالة والانتصارات، وذكره للكبير والصغير في القوم، لذا كانت رؤيتي لاختيار الشاعر لما و جدته من جوانب إعلامية في المعلقة بصورة مناسبة لظروف العصر، فكانت صورة الإعلام جماعية عنده أي أغلبها في وصف القوم.

٢) عنترة بن شداد:

"هو أحد فرسان العرب المشهورين وأجودهم المعروفين وأحد الأغربة الجاهلين" (٣)

---

(١) ديوان عمرو بن كلثوم : دار الكتاب العربي ــ بيروت، ط١ ، ١٤١١هـــ ١٩٩١م ، ص ١٧ ، تحقيق دكتور أميل بديع يعقوب.

(٢)ابى زيد محمد القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ج١ ص ٢٠٨ – ٢١٠، دار العلم دمشق " ٢ ١٩٨٦ تحقيق وشرح محمد علي الهاشمي.

(٣) أحمد الشنقيطي : شرح المعلقات العشر ص ٣٤ (مرجع سابق).

"وهو شخصية محبوبة، لأن كل ما فيها من الصفات يجعل صاحبها قريباً من القلوب: فهو بطل شجاع، جريء الفؤاد، حليم الطباع، رقيق القلب، دقيق الإحساس، رحب الصدر، سمح المخالفة ، عفيف النظر واللسان، كريم جواد، وهو إلى ذلك عاشق محروم ممن يحبه، يتألم ويشكو، يشكو من حظه العاثر في الحب، ومن ظلم قومه له، وإنكارهم جميل فعله نحوهم ، فتظهر في شعره المرارة التي تؤثر في النفوس وتعطف القلوب." (١)

هذه السمات صنعت منه عنترة المحب والعاشق والبطل والشجاع، فهو مخلص للحب تجاه المحبوبة، ومخلص تجاه القوم في الدفاع عنهم فهو صاحب مواقف كثيرة مرَّ بها وذكرتها كتب التراث.

"ويمتاز شعره، مع ما فيه من جمال الوصف، بجمعه بين الرقة والشدة وشرف المعاني وسهولة اللفظ، وحسن الانسجام ومتانة التعبير" (٢)

وكان في كل ما قدَّم لنا من أشعار يتحدث عن نفسه وعن سيفه ورمحه لاعن الآخرين، فجاءت الصورة الإعلامية عنده بارزة وكان حديثه عن الأنا الخاصة به، لذا كانت سبباً في وقوفي أمامه في هذا الجانب.

٣)زهير بن أبي سلمى:

شاعر من الشعراء المتميزين في عصره، صاحب مكانة عظيمةارتقى بمدائحه، فكان لا يمدح الرجل إلا بما فيه.

"كان ردعاً حكيماً يعدونه من مترهبة العرب، قالوا : وهو أحد الثلاثة المتقدين على سائر الشعراء، وإنما اختلف في تقديم أحدهم على صاحبه، فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم ، وهم : امرؤ ألقيس، وزهير ، والنابغة الذبياني.

---

(١) مقدمة ديوان عنترة بن شداد : دار صادر بيروت ــ ط ١ ، ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م : ص ١٠
(٢) المرجع السابق ص ١٠

"وقد ورث زهير الشعر عن أبيه وخاله وورثه ولده" [١] ، ولزهير منهج خاص في أشعاره، فكان حوليا أي لا يخرج القصيدة إلى الملأ إلا بعد مرور حول كامل، وكان أيضاً ذا نزعة دينية ، وغطت جوانب الإعلام عنده معظم أشعاره، وهي سمات بارزة قريبة جداً من الحرب، والسلام والحكمة.

٤)حسان بن ثابت الأنصاري:

من الشعراء المخضرمين، كان شديد التعصب للإسلام وللرسول وكان هجاؤه شديداً على المشركين.

"وظل يحمل رسالة الذود عن المسلمين ويسجل في شعره انتصاراتهم على المشركين حتى لقي الرسول صلي الله عليه وسلم ربه، ومن ثم أصبح بحق شاعر الإسلام ورسوله الكريم" [٢]

"ويتميز شعره بعد الإسلام برقة منبعها الإيمان، مع شدته على المشركين والكفار في الوقت نفسه.... ويبدو حسان في شعره متأثراً بالقرآن الكريم وأسلوب الرسول صلي الله عليه وسلم، ويعتبر شعر حسان في الإسلام من عيون ما جاء في شعر الدعوة" [٣]

وكان حسان مجالا واسعا للإعلام في أشعاره فكل ما قدم من شعر كان الإعلام بارزاً فيه، وهي سمات حقيقية واقعية قدمها لنا متعصباً للإسلام وللرسول

---

(١) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الكتب العربية ، بيروت لبنان ج٣ ط٢ ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م ص ٢٣٦

(٢) محمد عويس : التيار الفني الجاهلي في شعر صدر الإسلام، مكتبة الطليعة، أسيوط ط١ ١٩٨٠ ص ١٩٩

(٣) عمر الطيب السايس: دراسات في الأدب العربي على مر العصور، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، جدة السعودية ص ٣٦

صلى الله عليه وسلم، فلو وقفنا أمام أي قصيدة من قصائده فإننا نجد الصورة الإعلامية مسيطرة عليه والحرب النفسية ضد العدو بارزة تماماً.

٥)عبد الله بن رواحه:

شاعر أنصاري من الخزرج، شهد العديد من الغزوات مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان شديد الدفاع عن الدعوة الإسلامية، وكان له شعر كثير في ذلك غطى معظم جوانب ديوانه.

"وقد اشتهر ابن رواحة بالشعر المقتبس من المعاني الإسلامية" (١) فكانت الصورة الإعلامية بارزة عنده، فيها القوة والصدق تخلو من المبالغة والرياء ،وهي صورة إسلامية واقعية.

٦)كعب بن مالك الأنصاري:

من شعراء الأنصار، صحابي من أكابر الشعراء، شهد العديد من المواقع والغزوات مع الرسول صلى الله عليه وسلم، "وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليه" (٢)

وكان لكعب بن مالك شعر يخوف المشركين خاصة في الحرب، فوقف مسانداً للدعوة الإسلامية وكان يذود عن الرسول، ويرد على شعراء المشركين، ولم يقصر في الإسلام معه.

وكان صاحب معركة أدبية إعلامية قوية برزت فيها شاعريته ومكانته آنذاك.

---

(١) خير الدين الزر كلي الأعلام، ج٥ ص ٢٢٨ ط٦، دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.

(٢) سامي مكي العامي : الإسلام والشعر ، سلسلة عالم المعرفة ع ٦٦ شعبان ، رمضان ١٤٠٣هـ يونية حزيران ١٩٨٣م ص ١٤٥

هؤلاء هم الشعراء الذين سأقف أمامهم في هذا البحث فهم أصحاب مواقف إعلامية بارزة ظهرت في أشعارهم، فكانوا الند العنيد للعدو كل على حسب عصره وبيئته، فتشكلت مواقفهم الإعلامية وسماتهم تجاه ما قالوا من شعر.

إذاً فهؤلاء الشعراء الذين وقفنا أمامهم، فكان سبب اختياري لهم والوقوف عندهم، يرجع إلى اختلاف المواقف الشعرية عندهم، فعمرو بن كلثوم تحدث عن قومه ومكانتهم، وحروبهم وقوتهم ، وابرز هجاءه للملوك والقبائل، كما سجّل أيامهم ووقائعهم الكثيرة فكان موفقاً في إبراز سجل المجد والشرف للقبيلة وبصورة إعلامية جماعية، وكان بطلاً وفارساً شجاعاً وشاعراً كبيراً في حرب البسوس التي دارت بين قومه وبين بني بكر والتي استمرت أربعين عاماً فألقى معلقته التي بلغت الألف بيت في سوق عكاظ، أما عنترة بن شداد فكان يتحدث عن نفسه فقط متحدثاً عن مكانته، وقوته وسيفه وفرسه من أجل تحقيق غرضه وهو نيل الحرية والتخلص من العبودية فكانت الصورة الإعلامية عنده فردية لا جماعية علي عكس عمرو بن كلثوم، أما زهير بن أبي سلمى فهو مختلف تماماً عن زميليه فهو صاحب مدح وصاحب سلام، ومواقف عدة خلدها التاريخ فسمي بشاعر السلام والحكمة، وفي كل مواقفه الشعرية كان صادقاً، فكانت الصورة الإعلامية بارزة متوائمة وظروف البيئة التي عاشها .

أما حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك فكانوا أصحاب مواقف إيجابية مع الإسلام ومع الرسول في الغزوات والفتوحات والمعارك، وكانوا يدافعون ويردون عنه هجمات شعراء مكة من المشركين، وقد سلك هؤلاء الشعراء من أجل إعلاء شأن وشرف الدعوة وكان لشعرهم تأثير كبير على المشركين، وكانت الصورة الإعلامية كبيرة ، واضحة، فيها التزام وإيمان قوي، كما كان لأشعارهم تأثيرات كبيرة فيها إشارات سريعة مسايرة للحياة وثقافتها الإسلامية

الجديدة بما فيها من صراع عقائدي بين المسلمين والمشركين وبين المسلمين وأهل الكتاب في عصر صدر الإسلام، وهذا نتيجة تأثرهم بمنهج القرآن الكريم في هجاء أهل الشرك.

(١) عمرو بن كلثوم

هو من شعراء الطبقة الأولى في طبقات ابن سلام الجمحى شاعر، وفارس ساد قومه وهو ابن الخامسة عشرة من عمره أبلى بلاء حسناً، في حرب البسوس، فبرزت فيها شجاعته وشاعريته، له شعر كثير ولكن أغلبه لم يصل إلينا لضياعه، وما بقى منه فهو متناثر في صفحات الكتب التراثية*.

"والحق أن الشعر في العصر الجاهلي كان يكون هو الوسيلة الوحيدة من وسائل الإعلام والدعابة، والحق أنه لم توجد إلى جانب هذه الوسيلة غير وسيلة الخطابة، ولكن المنزلة الأولى كانت للشعر دائماً، وهي بيئة لا يعرف القراءة والكتابة فيها إلا القليلون يكادون يعدون على الأصابع فكان لا بد للشعر أولا ثم الخطابة بعد ذلك أن يقوم بوظيفة الإعلام ووظيفة الدعاية للقبيلة، ولعل أكبر دليل على أهمية القصيدة العربية ، واهتمام العرب بها ما رواه التاريخ عن العرب أنهم كانوا يختارون أجود القصائد، ومن أشهرها ما يسمى بالمعلقات السبع أو العشر"(١)

إن الناظر إلى شعر عمرو بن كلثوم يجد أن الإعلام مسيطر عليه تماماً، فلم نر بيتاً من أبياته الشعرية إلا وفيه هذه السمة، وهي روح جماعية لا فردية، ففيها

---

* قام بجمعه إميل بديع يعقوب عام ١٩٩٠ بدار الكتاب العربي بيروت ، وأضاف المقطوعات الشعرية المنسوبة إليه

(١) عبدا للطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، مصر ــ ط٢ ١٩٧٥ ص ٢٤، ٢٥

القوة لا من حيث الموضوعات فحسب بل من ناحية الألفاظ أيضاً خاصة في معلقته الشهيرة.

"وأهم ما وصلنا من مشعر عمرو بن كلثوم، إلى جانب شذرات من شعره في الفخر والمدح والهجاء، نونيته الشهيرة ، وهي الخامسة بين المعلقات الجاهلية، وقد بلغت المائة بيت*، وزعم بعضهم أنها جاوزت الألف قيل أنه أنشدها في سوق عكاظ وفي موسم مكة، كانت تشيد فخرا واعتدادا في أفواه التغلبيين، فلها بالإضافة إلى منزلتها الأدبية ، منزلة قومية." (١)

وهي طبيعة في العرب في هذه الفترة، فكان الشعر خير وسيلة في كافة جوانب الحياة.

"والمعلقة جميعها صياح شديد، يرفع فيها قبيلته تغلب على كل من حولها في نجد شرقيها وغربيها، فكل من حدثته نفسه منهم بقتالها كان مصيره الهلاك والدمار، ويقول إن حياتهم سلسلة من الحروب، ويصف أسلحتهم التي يذيقون بها أعداءهم كئوس الموت المرة، ومن فخره بقومه إلى قبائل معد كلها بما يجدون من رءوس شجعانهم، واعتراف أعدائه بشجاعتهم، فالسيوف في أيديهم وأيدي أعدائهم كأنها مخا ريق بأيدي لاعبين، وهم يقتلون فيهم، وكل من يقاتل من قومه فثيابهم جمعياً ملطخة بالدماء" (٢)

---

(١) جورج عتريبي: الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه،دار الثقافة، بيروت،لبنان ١٩٦٠م ص ٢١

(٢) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ، دار المعارف مصر، ط١١، ص ٢٤٠

*ومن وجهة نظر الباحث بالنسبة للرايات البيض التي تدل علي السلم ، لأنها تدل علي الاستسلام وهو ليس من طبع عمرو بن كلثوم ، بل هي بيضاء غير ملوثه ، عطشي تبحث عن الري ، وحينما يلتقي المتقاتلون ترتوي من دمائهم.

وهي ميزة ليست مصطنعة عند قوم الشاعر فهم أصحاب قوة، وبطش وسلطان في عدة صور قبلية متعددة.

وهي صورة تتسم بالقوة وإعلاء مكانة القبيلة، فكان حديث الشاعر عن القوم دون الفردية فكأنه هو القوم، وكانت الصورة نابعة من داخله فيها الصدق والقوة، وكان عمرو يقطع الطريق للمهجوين فلا يترك شيئاً لهم أن يردوا عليه، وفيها نلمح فصاحته وسخريته.

وإذا أمعنا النظر في المعلقة فإنا نجد صور الإعلام مسيطرة عليها بعد المقدمة الخمرية التي بدأ بها وبعد ذلك نرى أن المعلقة بأبياتها قد قسمت إلى ثلاثة أجزاء، الأول وفيه هجاء لعمرو بن هند والثاني تهديد لبني بكر والثالث فيها مدح للقوم وإبراز مكانتهم.

ففي الجزء الأول نجد عمرا يوضح فيه عدة صور مرتبطة بالإعلام يذكر السلم والحرب، واليقين، والرايات، وهي صور إعلامية كاملة نراها عند الإنسان القوي صاحب الثقة بنفسه، فظهرت الرايات البيضاء التي تدل على السلم قبل الحمراء التي تدل على الحرب* فيقول:

أَبا هِندٍ فَلا تَعجَل عَلَينا ... وَأَنظِرنا نُخَبِّركَ اليَقينا
بِأَنّا نوردُ الرايات بيضاً ... وَنُصدِرُهُنَّ حُمراً قَد رَوينا
وَأَيّامٍ لَنا غُرٍّ طِوالٍ ... عَصَينا المَلكَ فيها أَن نَدينا
وَسَيِّدِ مَعشَرٍ قَد تَوَّجوهُ ... بِتاجِ المُلكِ يَحمي المُحجَرينا
تَرَكنا الخَيلَ عاكِفَةً عَلَيهِ ... مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفونا
وَأَنزَلنا البُيوتَ بِذي طُلوحٍ ... إِلى الشاماتِ تَنفي الموعِدينا[1]

(١) ديوان عمرو بن كلثوم ص ٧١، ٧٢

وهي صور أقرب إلى الواقع، وتكاد تكون قريبة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" وكذلك قريبة من عصرنا الحالي حيث أن السلم مقدم على الحرب، وهي صورة واقعية ذكرها الشاعر.

ولكن طبيعة الشاعر وقوته المسيطرة عليه جعلته يصف لنا صورة أقوى من سابقتها، حيث بين مكانة القوم وقوتهم، ففيها الرعب والفزع، والتخويف للأعداء، وهي صورة إعلامية أيضاً، وفيها رعب لم يقتصر على الجنس الآدمي من البشر لكنه انتقل إلى الحيوانات، وقد خص الكلاب لأهميتها في هذه الفترة الجاهلية.

وبين في هذه الصورة أن العدو لقن درساً لن ينساه بأسلوب إعلامي حديث، أما الصورة الجاهلية، والتي ذكرت على لسان عمرو بن كلثوم فهي أن القوم عندما يذهبون إلى ميدان القتال يطحنون عدوهم كما تطحن الرحى الحب.

كما يوجه اللوم لعمرو بن هند على ما بدر منه و من أمه، بطريقة من العتاب فيها مبينا أن قومه قادرون على رد الجميل فيقول:

وَقَد هَرَّت كِلابُ الحَيِّ مِنّا ... وَشَذَّبنا قَتادَةَ مَن يَلينا
مَتى نَنقُل إِلى قَومٍ رَحانا ... يَكونوا في اللِقاءِ لَها طَحينا
يَكونُ ثِفالُها شَرقِيَّ نَجدٍ ... وَلُهوَتُها قُضاعَةَ أَجمَعينا
نَزَلتُم مَنزِلَ الأَضيافِ مِنّا ... فَأَعجَلنا القِرى أَن تَشتُمونا
قَرَيناكُم فَعَجَّلنا قِراكُم ... قُبَيلَ الصُبحِ مِرداةً طَحونا
نَعُمُّ أُناسَنا وَنَعِفُّ عَنهُم ... وَنَحمِلُ عَنهُمُ ما حَمَّلونا[1]

ثم تأتي صورة أخرى فيها القوة من حيث ملاحقة الأعداء بالطعن مهما حدث لهم من تراخ، وهي سمة الجاهليين، فبين قوة السيف وشق الجماجم، وكثرتها، وهي

(١) الديوان ص ٧٢ ــ ٧٣

صورة إعلامية أيضاً وردت كثيراً على ألسنة الشعراء أصحاب القبائل القوية، وهذه الصورة حواها العنف، و القسوة والشدة فيقول:

نُطاعِنُ ما تَراخى الناسُ عَنّا ... وَنَضرِبُ بِالسُيوفِ إِذا غُشينا
بِسُمرٍ مِن قَنا الخَطِّيِّ لُدنٍ ... ذَوابِلَ أَو بِبيضٍ يَختَلينا
كَأَنَّ جَماجِمَ الأَبطالِ فيها ... وُسوقٌ بِالأَماعِزِ يَرتَمينا
نَشُقُّ بِها رُؤوسَ القَومِ شَقّاً ... وَنُخليها الرِقابَ فَتَختَلينا
وَإِنَّ الضِغنَ بَعدَ الضِغنِ يَبدو ... عَلَيكَ وَيَخرِجُ الداءَ الدَفينا
وَرِثنا المَجدَ قَد عَلِمَت مَعَدٌّ ... نُطاعِنُ دونَهُ حَتّى يَبينا
وَنَحنُ إِذا عَمادُ الحَيِّ خَرَّت ... عَنِ الأَحفاضِ نَمنَعُ مَن يَلينا
نَجُذُّ رُؤوسَهُم في غَيرِ بِرٍّ ... فَما يَدرونَ ماذا يَتَّقونا[1]

ومن خلال الصورة السابقة ركز كثيراً على السيف فهو الأداة الوحيدة التي برع العرب في وصفها من حيث قوتها ولمعانها، و فتكها بالعدو، فركز على السيف مبيناً كثرتها وسرعتها، وهناك الصبيان من القوم يلعبون بها وهي صورة أقوى من سابقتها فيقول:

كَأَنَّ سُيوفَنا فينا وَفيهِم ... مَخاريقٌ بِأَيدي لاعِبينا
كَأَنَّ ثِيابَنا مِنّا وَمِنهُم ... خُضِبنَ بِأُرجوانٍ أَو طُلينا
إِذا ما عَيَّ بِالإِسنافِ حَيٌّ ... مِنَ الهَولِ المُشَبَّهِ أَن يَكونا
نَصَبنا مِثلَ رَهوَةَ ذاتَ حَدٍّ ... مُحافَظَةً وَكُنّا السابِقينا
بِشُبّانٍ يَرَونَ القَتلَ مَجداً ... وَشيبٍ في الحُروبِ مُجَرَّبينا
حُدَيّا الناسِ كُلِّهِمُ جَميعاً ... مُقارَعَةً بَنيهِم عَن بَنينا
فَأَمّا يَومَ خَشيَتِنا عَلَيم ... فَتُصبِحُ خَيلُنا عُصَباً ثُبينا

(١) الديوان ص ٧٤ ــ ٧٥

هذه هي الصورة الإعلامية عند عمرو بن كثوم، والتي وردت في الجزء الأول من المعلقة، والتي هجا فيها عمرو بن هند، مبرزاً فيها عنصري القوة والفخر وهذا الجزء يظهر طبيعة الشاعر القومية غير المصطنعة، وهي صورة إعلامية كاملة فيها التهديد والوعيد، وهي عادة مشهورة عند العرب في هذه الفترة، لأنها تحتوى على المجاهرة للأعداء بالاستعداد للقتال والإعلام من إبراز القوة والشرف والمكانة للقبيلة.

"وكان أكثر نقط الوعيد تكرار العقاب الذي يهدد به الأعداء، وصفات الأبطال الذين سيقومون بتوقيع هذا العقاب، وهذا طبيعي، لأن الوعيد إنما هو التهديد بإنزال الجزاء الشديد على الأعداء،وذلك يؤدي إلى الحديث عمن يتولى تنفيذ هذا الجزاء،ولابد أن يكون موصوفاً بالشدة والحزم، و قوة العزيمة"(١)

وهي سمة اتسم بها عمرو بن كلثوم، جعلته على رأس شعراء عصره، اعتمد فيها على التأثير السريع، وقوة الأسلوب والصراحة والعمق، فهو يأخذ مادته من واقع الحياة التي يعيشها، مستمداً ذلك من الخيال القوي، والذهن المتيقظ.

"وهي صورة عالية وبليغة لهذا الحماس الذي دفعه إلى تركيبها خياله الشعري"(٢)

ويختتم هذا الجزء بالتوبيخ والاستهزاء لعمرو بن هند، متسائلاً إياه عن سبب احتقاره وتهديده، ولو أنه ما فعل ذلك لما كان له هذا المصير، وهي صورة إعلامية يقدمها المنتصر إلى من ذاق الهزيمة على يديه فيقول:

بِأَيِّ مَشيئَةٍ عَمرُو بنَ هِندٍ نَكونُ لقبلكم فيها قَطينا

(١) علي الجندي: شعر الحرب، دار الفكر العربي، مصر د.ت، ص ٣٦٨

(٢) عبدالله خلف: شعراء المعلقات، دراسة تحليلية نقدية، المكتب العربي للطباعة الإسكندرية، ط١ د.ت. ص ١٩٧

بِأَيِّ مَشيئَةِ عَمرُو بنَ هند تُطيعُ بِنـــا الوُشاةَ وَتَزدَرينا
تَهَدَّدنا وَأَوعِدنا رُوَيـــداً مَتى كُنـــا لِأُمِّكَ مَقتَويـــنا
فَإِنَّ قَناتَنا يا عَمرُو أَعيَت عَلى الأَعداءِ قَبلَكَ أَن تَلينـــا[1]

أما الجزء الثاني من هذه المعلقة والتي يخاطب فيها بني بكر، أثنـــاء قيـــام حرب البسوس، حيث برزت فيها شجاعة الشاعر وفروسيته فأبلى بلاءً حسناً فيهـــا وكان ابن الخامسة عشرة من عمره يظهر فيها قوة القوم وأنهم يرمون بالأعداء من كثرة الطعن والقتل ويسألهم هل علموا اليقين من قومه أثناء الحرب، وهي صورة فيها تضخم عند الشاعر، فيها مواقف نفسية تدل على كثرة سيوفهم وجودتها وهـــي أدوات ورثوها من الأجداد، وهي رموز لانتصاراتهم منذ القدم إلـــى حاضـــرهم، وستظل هكذا في مستقبل تاريخهم المتصل الحلقات وأن الجميع كتلة واحدة يكمـــل كل جزء منها الجزء الآخر الفارس والفرس والعتاد والعدة والجـــد والأب والابـــن والحفيد الكل أمام الخطر واحد لا يتجزأ وهو صوت الجميع يحسن حقاً في التعبير عن هذا الموقف فيقول:

فَآبوا بِالنِهـــابِ وَبِالسَبايا وَأُبنا بِالمُلوكِ مُصَفَّدينـــــــا
إِلَيكُم يا بَني بَكرٍ إِلَيكـــم أَلَمّا تَعرفوا منّـــا اليَقينـــــا
أَلَمّـــا تَعرِفـــوا منّا وَمِنكُم كَتـــائِبَ يَطَّعِـــنَّ وَيَرتَمينا
عَلَينا البَيضُ واليَلَبُ اليَماني وَأَسيـــافٌ يَقُمـــــنَ وَيَنحَنينا
عَلَينا كُلُّ ســـــابِغَةٍ دِلاصٍ تَرى فَوقَ النِطاقِ لَها غُضونـــا
إِذا وُضِعَت عَلى الأَبطالِ يَوماً رَأَيتَ لَها جُـــلودَ القَومِ جونـــا
كَأَنَّ غُضـــونَهُنَّ مُتونُ غُدرٍ تُصَفِّقُها الريـــاحُ إِذا جَرَينـــا
وَتَحمِلُنا غَداةَ الرَوعِ جُردٌ عُرِفنَ لَنـــا نَقائِذَ وَافتُلينـــــا

(١) الديوان ص ٧٨ ــ ٧٩

وَرَدنَ دَوارِعاً وَخَرَجنَ شُعثاً كَأَمثالِ الرَصائِعِ قَد بَلينا
وَرِثناهُنَّ عَن آباءِ صِدقٍ وَنُورِثُنا إِذا مُتنا بَنينا
عَلى آثارِنا بيضٌ حِسانٌ نُحاذِرُ أَن تُقَسَّمَ أَو تَهونا
أَخَذنَ عَلى بُعولَتِهِنَّ عَهداً إِذا لاقَوا كَتائِبَ مُعلَمينا
لَيَستَلِبُنَّ أَفراساً وَبيضاً وَأَسرى في الحَديدِ مُقَرَّنينا
تَرانا بارِزينَ وَكُلُّ حَيٍّ قَد اتَّخَذوا مَخافَتَنا قَرينا
إِذا ما رُحنَ يَمشينَ الهُوَينى كَما اِضطَرَبَت مُتون الشارِبينا
يَقُتنَ جِيادَنا وَيَقُلنَ لَستُم بُعولَتَنا إِذا لَم تَمنَعونا
ظَعائِنَ مِن بَني جُشَمَ بنِ بَكرٍ خَلَطنَ بِمَيسَمٍ حَسَباً وَديناً
وَما مَنَعَ الظَعائِنَ مِثلُ ضَربٍ تَرى مِنهُ السَواعِدَ كَالقُلينا
كَأَنّا وَالسُيوفُ مُسَلَّلاتٌ وَلَدنا الناسَ طُرّاً أَجمَعينا
يُذَهدونَ الرُؤوسَ كَما تُذَهدي حَزاوِرَةٌ بِأَبطَحِها الكُرينا[1]

هي صورة إعلامية كاملة يبرز فيها أدوات الحرب وكثرتها وقوة وسواعد أبناء القوم، وجاءت بصورة واقعية خالصة من داخل الشاعر، أما الجزء الثالث من المعلقة، ففيه صورة كاملة للفخر القبلي، والذي تحدث فيه عن القوم، ففيه صورة واضحة للإعلام، وهي صورة يسيطر عليها جانب الفخر للقوم.

"والفخر عادة يكون بادعاء أشياء للنفس ليست في متناول جميع القوم كأن يدعي الشاعر أن قومه أشجع الناس، وأقواهم عدداً وعدة، وأمنعهم ذماراً، تخشى الجبابرة أصغرهم، ويرهب الأبطال لقاءهم، ومن هذا يتبين أن العربي كان يحب أن

(١) الديوان ص ٨٤ ــ ٨٥

يظهر نفسه بمظهر التفوق التام على الآخرين، وأن يشاع عنه أنه أعلى شأناً من غيره في كل شيء" (١)

وهذه الصورة قديمة، حديثة، قديمة تتلاءم مع ظروف العصر الجاهلي، حديثة نظراً لتطور وسائل الإعلام المختلفة، فانا نجد أن الدول المتحاربة كل منها يبين قوته وعتاده، وأن لديه المقدرة على البطش بالآخر ، فعمرو بن كلثوم يفخر بالقوم راجعاً إلى الوراء.

يذكره أجداده من أمه وأبيه مبيناً أنهم أصحاب فخر ومكانة عالية، وهي صورة عامة شاملة لأصالة الشاعر، ففيها تضخم للأنا، حيث يعلي من شأنه ومكانته، وهي صورة إعلامية مناسبة وظروف العصر الذي عاش فيه الشاعر فيقول:

فَهَل حُدِّثتَ في جُشَمَ بنِ بَكرٍ ... بِنَقصٍ في خُطوبِ الأَوَّلينا
وَرِثنا مَجدَ عَلقَمَةَ بنِ سَيفٍ ... أَبَاحَ لَنا حُصونَ المَجدِ دينا
وَرِثتُ مُهَلهِلاً وَالخَيرَ مِنهُ ... زُهَيراً نِعمَ ذُخرُ الذاخِرينا
وَعَتّاباً وَكُلثوماً جَميعاً ... بِهِم نِلنا تُراثَ الأَكرَمينا
وَذا البُرَةَ الَّذي حُدِّثتَ عَنهُ ... بِهِ نُحمى وَنَحمي المُحجَرينا
وَمِنّا قَبلَهُ الساعي كُلَيبٌ ... فَأَيُّ المَجدِ إلاّ قَد وَلينا

ينتقل بعد ذلك إلى صورة إعلامية أخرى أقوى من سابقتها، فيها عدة صور للقوم بأنهم يتحملون المواقف الصعبة، وهم أصحاب قوة وسلطان.

"فقومه هم الأيمنون، في حين أن بقية عشيرته من غير قومه كانوا أهل الشمال، وبينما رجع هؤلاء من الحرب بالنهاب والسبايا وعاد قومه بعد أن أسروا

(١) على الجندي شعر الحرب ص ٣٦٢

ملوك الأعداء ورؤساءهم، وقد صفدوهم بالقيود والأغلال."[1]

وهي صورة مرهبة فيها القوة وفيها الحرب والسلام، والصبر، وبأنهم مانعون لمن أطاعهم، وعازمون على قتال من عصاهم، وهي سمة فيهم، ولم يحملهم أحد على ذلك فيقول:

وَنَحنُ الحابِسونَ بِذي أُراطى ... تَسُفُّ الجِلَّةُ الخورُ الدَرينا
ونَحنُ الحاكِمونَ إِذا أُطِعنا ... وَنَحنُ العازِمونَ إِذا عُصينا
وَنَحنُ التارِكونَ لِما سَخِطنا ... وَنَحنُ الآخِذونَ لِما رَضينا
وَكُنّا الأَيمَنينَ إِذا التَقَينا ... وَكانَ الأَيسَرين بَنو أَبينا
فَصالوا صَولَةً فيمَن يَليهِم ... وَصُلنا صَولَةً فيمَن يَلينا
فَآبوا بِالنِهابِ وَبِالسَبايا ... وَأُبنا بِالمُلوكِ مُصَفَّدينا

وهناك صورة أخرى أقوى من سابقتها في الفخر بالقوم، وفيها تضخم للأنا، والإعلام بارز فيها، وهي صورة قديمة حديثة، تستعمل في الجاهلية بطبيعتها مع أحداث الحياة وظروف البيئة، وتستعمل حديثاً في تفاخر الدول مع بعضها البعض، فكل دولة تبين مكانتها من حيث القوة، والكرم والمواقف، المقدرة على حماية نفسها.

"إن لعمرو بن كلثوم قيمة كبيرة من حيث الشاعرية المحضة، وكان سيداً كبيراً ، وآمراً مطاعاً في قبيلته على الأقل، ويسرد أسماء أجداده، فلا يرى إلا الكرام، ويراجع تاريخ قبيلته، فلا يحفظ إلا أيام الانتصارات، ثم يغزو جيرانه فيتفوق بعض الأحيان، فتتجمع تلك المفاخرة وتتضخم في مخيلته القوية، وتتجسم لدي شعوره الحساس، ثم لا يرى أمامه من يتجاسر فيردها إلى قيمتها الأصلية، فيعتد بنفسه ويفخر"

(١) على الجندي شعر الحرب (مرجع سابق) ص ٣٦٢

فجاءت صورة الإعلام عند عمرو بن كلثوم بالفخر حيث ذكر الجد الأكبر للعرب (معد) مبيناً أنهم أصحاب أصالة، ولديهم مقدرة كبيرة على الدفاع عن أنفسهم، وأنهم ينعمون بالخيرات على من يقصدهم متى قدروا، ويهلكون من أتاهم بالشر، وقد استخدم في ذلك أسلوب التوكيد، وذكر المقابلات في هذا الجزء مبيناً أن قومه يحكمون بما أرادوا، وينزلون في الأرض حيث شاءوا، وأنهم أسياد، لديهم المقدرة على القتال في أي وقت، وأنهم يهلكون من قصدهم في القتال فيقول:

وَقَد عَلِمَ القَبائِلُ من مَعَدٍّ إذا قُبَبٌ بِأَبطَحِها بُنينا
بِأنا المُطعِمونَ إذا قَدَرنا وَأَنّا المُهلِكونَ إذا ابتُلينا
وَأَنّا المانِعونَ لِما أَرَدنا وَأَنّا النازِلونَ بِحَيثُ شينا
وَأَنّا التارِكونَ إذا سَخِطنا وَأَنّا الآخِذونَ إذا رَضينا
وَأَنّا العاصِمونَ إذا أُطِعنا وَأَنّا العازِمونَ إذا عُصينا
وَأَنّا المانِعُون لما يَلينا إذا ما البيضُ فارَقَت الجُفونا
وَأَنّا الطالِبونَ إذا انتَفَمنا وَأَنّا الضارِبون إذا أُبتُلينا
وَأَنّا النازِلون بِكُلِّ ثَغرٍ يَخافُ النازِلونَ بِهِ المَنونا[1]

ويختم المعلقة جزء يحتوى على صورة إعلانية كبيرة، وأنا متضخمة فيها المبالغة والإفراط، فيذكر البحر كناية عن الكثرة بأن قومه لديهم المقدرة على ملء البحر بالسفن، كما ملأوا البر، وهي صورة عالية، كما أن الرضيع يحترم عند بلوغه الفطام.

إذاً فعمرو بن كلثوم في هذا الجزء من المعلقة قد غطى جوانب الإعلام الكاملة وبين لنا صورة تتواءم وظروف العصر الجاهلي وفق الأحداث والظروف، وهي صورة إعلامية بأسلوب العصر الجاهلي فيقول:

---

(١) الديوان ص ٨٨ – ٨٩

مَلأنا البَرَّ حَتّى ضاقَ عَنّـــا وَماء البَحرُ نَملأُهُ سَفينا
إذا بَلَغَ الفِطامَ لَنـــــا وَليـــدٌ تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينا[1]

هذه هي اللوحة التي رسمها لنا الشاعر وقد شملت كل المواقف البطولية التي مر القوم بها في حياتهم وهي عبارة عن عدة صور لبني تغلب وقد غطـــى فيهـــا الشاعر جوانب الحياة بأكملها عندهم، وكان الإعلام مسيطراً عليه فيها.

"وللمعلقة ميزات عالية في الشعر، فهي تعد من أرفع المطولات، لما يزينهـــا – رغم الشوائب– من سهولة، وانسجام ودفـــق موسيقي ولحظات ملحمية، ومهمـــا غالـــت وكاثرت تظل النموذج الغنائي الزاخر
المحب، لا تتبغض لأنها تنطق بلسان العاطفـــة الـــصادقة والإحـــساس الوجـــداني المحض"[2]

في كل موقف نجد القوة والصرامة ضد الأعداء، ففيها المواقـــف البطوليـــة والإحساس والتهديد والوعيد، وهو صاحب عاطفة قبلية متصلة بالقبيلة تعبر عـــن مشاعرها.

إن الصورة الإعلامية عند عمرو بن كلثوم فيها تتابع وتسلسل، وانطلاق ففي الجزء الأول من المعلقة رأينا المقدمة الخمرية، والحديث عن الظعائن ومنها انطلق إلى هجاء عمرو بن هند، وربط هذا الجزء بالجزء الثاني الذي يبين قوة القوم أمام بني بكر، ثم الجزء الثالث والذي مدح فيه القوم، في تسلسل وعلو، وكلمـــا يتقـــدم بالكلام بالشعر فيها نرى تضخم الأنا، وهي أشبه بدرجات السلم وغرض الـــشاعر هو رفع شأن القبيلة عن طريق الإعلام.

---

(١) الديوان ص ٩١ ،

(٢) فواد افرام البستاني المعلقتان درس ومنتخبات ص (يو)

"وكانت القصيدة تقال في طرف من أطراف الجزيرة العربية فيلتقطها الرواة فتصبح على كل لسان دون تحريف يذكر"(١)

"وفي ظلال مشاهد البطولة القتالية تتكشف ضروب من الانقسام الطبقي على المستوى الاجتماعي الذي يسقط تماماً أمام حس البطولة في صورتها الإنسانية، وإذا بعمرو بن كلثوم يكشف عن نمط آخر من بطولة سيد القوم الذي يرفض الضيم والإهانة في بلاط الملك"(٢)

إذا فالصورة الإعلامية عند عمرو بن كلثوم، كانت متتابعة فيها نقل الأخبار والصور والمواقف، والماضي العريق، والحرب والسلام، وفيها جوانب كبيرة من الصدق لما اتسم التغلبيون به من قوة، وأنها لشهادة صادقة عند عمرو بن كلثوم.

(٢) عنترة بن شداد:

هو نموذج من الشعراء المتميزين في هذه الفترة، وهو صاحب سمات شعرية خاصة به، له مواقفه الخاصة به في حياته نتيجة الظروف التي مر بها.

وهو شخصية حربية فائقة، صنع لنفسه مكانة فاق بها أقرانه فكان مثالاً للفروسية والشجاعة، وكان كثير التوعد للأعداء في المحافظة على شرف القبيلة، من أجل الحصول على المكافأة وهي التخلص من الرق والعبودية، والفوز بالزواج من عبلة.

---

(١) محمد محمود سفر: الإعلام موقف ـ تهامة للنشر والطبع ط١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م جدة السعودية ص ١٨، ١٩

(٢) مي يوسف خليف: بطولة الشاعر الجاهلي وأثرها في الأداء القصصي ـ دار قباء للطباعة والنشر مصر ط١ ١٩٨٨ ص ٦٩

إن الصورة الإعلامية عند عنترة تكاد تكون مختلفة تماماً عن سابقتها، فهو صاحب موقف إعلامي فردي، ذاتي، وفي كل موقف يتحدث عن نفسه مبيناً كيفية الدفاع عن القوم بسيفه ورمحه وفرسه، و هو لم يدخر وسعاً في ذلك.

كما أن الصورة الإعلامية عنده فيها الخلط بين الحب والحرب، فيبرر فيها الانتقام من الأعداء وإبراز الحب الشديد لعبلة.

وإذا أردنا أن نقف أمام معلقته الشهيرة، فإنا نجد أنها تحتوى على قسمين، الأول منهما الحديث عن عبلة، ووصف ديارها ، والثاني الحديث عن الحرب والحب مع ذكره لعبلة ببعض من التمويهات، وفي كل نرى صورة الإعلام فيها الحب وفيها المبارزة والقوة بالإضافة إلى سيطرة الجوانب الذاتية عليه.

ففي الجانب الأول نرى صورة كاملة لديار عبلة، والحديث عن القبيلة، فدمج عدة أشياء في صورة

متكاملة، نرى فيها مخاطبته للدار ووقوفه فيها، كما ظهرت فيها طبيعته من تودد للمحبوبة، وهي صورة متناسبة وظروف هذا العصر فيقول:

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ ... أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

يا دارَ عَبلَةَ بِالجَواءِ تَكَلَّمي ... وَعَمي صَباحاً دارَ عَبلَةَ وَاسلَمي

فَوَقَفتُ فيها نـاقَتي وَكَأَنَّهـا ... فَدَنٌ لِأَقضِيَ حاجَةَ المُتَلَـوِّمِ

وَتَحُلُّ عَبلَةُ بِالجَـواءِ وَأَهلُنـا ... بِالحَزنِ فَالصَمّـانِ فَالمُتَثَلَّمِ

حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقادَمَ عَهـدُهُ ... أَقوى وَأَقفَرَ بَعـدَ أُمِّ الهَيثَـمِ

حَلَّت بِأَرضِ الزائِرينَ فَأَصبَحَت ... عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابنَـةَ مَخرَمِ

عُلِّقتُها عَرَضاً وَأَقتُلُ قَومَهـا ... زَعماً لَعَمرُ أَبيكَ لَيسَ بِمَزعَـمِ

وَلَقَد نَزَلتِ فَلا تَظُنّي غَيـرَهُ ... مِنّي بِمَنزِلَةِ المُحَبِّ المُكرَمِ

كَيفَ المَزارُ وَقَد تَرَبَّعَ أَهلُهـا ... بِعُنَيزَتَينِ وَأَهلُنـا بِالغَيلَـمِ

إن كُنتِ أزمَعتِ الفِراقَ فَإنَّمـــا زُمَّت ركابُكُـمُ بِلَيـلٍ مُظلِمِ
ما راعَني إلّا حَمولَةُ أَهلِهـــا وَسطَ الديارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمخِـمِ
فيها اثنَتانِ وَأَربَعـــونَ حَلوبَةً سوداً كَخافِيَةِ الغُرابِ الأَسحَـمِ
إذ تَستَبيكَ بِذي غُروبٍ واضِحٍ عَذبٍ مُقَبَّلُهُ لَـــــذيذِ المَطعَمِ
وَكَأَنَّ فارَةَ تاجِـــرٍ بِقَسيمَةٍ سَبَقَت عَوارِضَها إِلَيكَ مِـنَ الفَمِ
أَو رَوضَةً أُنُفاً تَضَمَّنَ نَبتَها غَيثٌ قَليلُ الدِمنِ لَيـسَ بِمَعلَـمِ
جادَت عَليهِ كُلُّ بِكـرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكنَ كُلَّ قَرارَةٍ كَـالـدِرهَمِ[1]

في هذا الجزء نجد الحب وصدق العاطفة، ففيها خلو من الزيف والتصنع، وفيها الإحساس العميق الصادر من داخل نفسه، وهو يريد بذلك الإعلان عن حبه الشديد لعبلة.

وهنا نرى في هذه الصورة الإعلامية، مخاطبته للدار سائلا إياها أن تخبره عن أهلها وساكنيها، فهو أحب هذه الديار وأحب من فيها، وهو نزل فيها منزلة المحب وهو صورة إعلامية فردية يظهر عنترة فيها موقفه الشخصي.

أما الجزء الثاني من القصيدة فتظهر فيه صورتا الحب والحرب، وهما صورتان متلازمتان عنده، والإعلام بارز فيهما.

فيخاطب عبلة مبرزاً مكانته وقوته سائلاً إياها: هل سألت أصحاب الخيل بما تعلم إذا كانت جاهلة بذلك، إنه إنسان قوي و شجاع، يحصد الكثير من الأعداء، و يعف عند المغنم، أي لا يستأثر بشيء دون أصحابه.

وتحدث أيضاً عن الحرب والطعن، وعن أدوات الحرب من سيوف ورماح، وقرن هذه الأدوات بعبلة، فكان مخاطباً لها بصورة صحيحة فيها الإعلام الفردي بارز ومسيطر عليه وفيه شخصيته القوية لا شخصية القوم فيقول:

---

(١) المعلقات العشر : الخطيب التبريزي الأبيات ١ – ٣٦ ص ٢٦٢ – ٢٧٦

هَلّا سَأَلت الخَيلَ يا ابنَةَ مالكٍ إن كُنت جاهلَةً بِما لَم تَعلَمـــي
إذ لا أَزالُ عَلى رِحالَةِ ســابِحٍ نَهــدٍ تَعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّــمِ
طَوراً يُجَرَّدُ لِلطِعانِ وَتــارَةً يَأوي إِلى حَصدِ القَسيِّ عَرَمرَمِ
يُخبِرك مَن شَهِدَ الوَقيعَةَ أَنَّني أَغشى الوَغى وَأَعِفُّ عِندَ المَغنَمِ
وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمــاةُ نِزالَهُ لا مُمعِــــنٍ هَرَباً وَلا مُستَلئِمِ
جادَت لَهُ كَفّي بِعاجِلِ طَعنَةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدقِ الكُعــــوبِ مُقَوَّمِ
فَشَكَكتُ بِالرُمحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ لَيسَ الكَريمُ عَلى القَنا بِمُحَرَّمِ
فَتَرَكتُهُ جَزَرَ السِبــاعِ يَنُشنَهُ يَقضِمنَ حُسنَ بَنانِهِ وَالمِعصَمِ
وَمُشَكٍّ سابِغَةٍ هَتَكتُ فُروجَها بِالسَيفِ عَن حامي الحَقيقَةِ مُعلِمِ
رَبِذٍ يَداهُ بِالقِداحِ إِذا شَــتــا هَتّاكِ غاياتِ التِجــــارِ مُلَوَّمِ
لَمّا رَآني قَــــد نَزَلتُ أُريدُهُ أَبدى نَــــواجِذَهُ لِغَيــرِ تَبَسُّمِ
عَهدي بِهِ مَدَّ النَهــارِ كَأَنَّما خُضِبَ البَنانُ وَرَأسُهُ بِالعِظلِمِ
فَطَعَنتُهُ بِالرُمحِ ثُمَّ عَلَوتُــهُ بِمُهَنَّدٍ صافي الحَديدَةِ مِخــذَمِ
بَطَلٍ كَأَنَّ ثِيابَهُ في سَرحَةٍ يُحذى نِعالَ السِبتِ لَيسَ بِتَوأَمِ[1]

وهذه الصورة التي دمج فيها عنترة الحب والحرب كانت لسبب ما، وهو إبراز القوة الذاتية والشخصية له، وكذلك حبه الشديد لعبلة.

"وهذه القصيدة التي بدأها بمقدمه طويلة غزلية، لم ينس الشاعر أن يضمن هذه المقدمة أبياتاً في الوصف استغرقت جو هذه المقدمة، و لن يستطيع القارئ أن يجد رابطاً يجمع هذه الموصوفات، وإنما كانت الأحاديث والخواطر تمر في ذاكرته سراعاً فيسجلها على الرغم من انعدام الرابط، وهذه الموضوعات تختلف بين ناقة أو قوس، أو حشايا فراش الحبيبة، أو الحديث عن شرب الخمر، أو

(١) المعلقات العشر :الخطيب التبريزي ص ٢٩٤ – ٣٠٣

الشهامة والكرم والشجاعة والجود والهجاء، وهي صورة متفاوتة تختلف عنده باختلاف المواقف والظروف التي ذكرها.

وهناك موقف إعلامي فيه قوة عنترة ومشرقه، و هو موقف فردي أيضاً "عندما كان قد خرج على قومه غضبان، فنزل على بني عامر وأقام فيهم زماناً، فأغارت هوازن وجشم على ديار بني عبس، وكان على هوازن يومئذ دريد بن الصمة فأرسل قيس بن زهير، و كان سيد عبس، يستنجد عنترة، وأبى وامتنع، و لما عظم الخطب على بني عبس خرجت إليه جماعة من نساء القبيلة من جملتهن الجمانة بنت قيس، فلما قدمن عليه طلبن منه أن ينهض معهن لمقاومة العدو وإلا تقطعت العشيرة وتشتت شملها فاحتمس ونهض من وقته طالباً ديار قومه".

وهنا تتغلب عليه الصورة الإعلامية الفردية، مع ذكر قومه في ثلاثة أبيات فقط، موضحاً أنهم أصحاب فضل عليه، وأنه صاحب تلبية للنداء في أي وقت، وأن هذا البيت له مكانة عالية في الثريا ، أما بقية الأبيات فيقف فيها أمام نفسه مبرزاً أنا المتضخمة ففيها يصف سيفه الذي يسوق به الأعداء وهو كالبحر في حركته وصدامه، كالموج في شدته واحتدامه، إلا أنه موج الموت لا نجاة منه ولا قوات، و صدر الرمح أعلاه، وأنه خلق من الحديد، ولكنه أقوى منه فهو يبدو ولكنه لا يبلي كما يبلي الحديد، وأن الحرب عنده أشبه بامرأة ترضع أبناءها وهو شرب من لبنها، فيها فتك وطعن و قتل، وإذلال لمن يعانده، وإبراز مواطن القوة في كل النواحي، وهنا يوضح هذه الصورة لعبلة ، وهي صورة إعلامية ذاتية فردية أيضاً، وهو لا يتحدث عن الجماعة، وإنما يتحدث عن نفسه ومواقفه فيقول:

سَكَتُّ فَغَرَّ أَعدائي السُـــكوتُ ... وَظَنّـــــوني لِأَهلي قَد نَسيتُ
وَكَيفَ أَنامُ عَن ســـــاداتِ قَوم ... أَنا في فَضـــــلِ نِعمَتِهِم رَبيتُ
وَإِن دارَت بِهِم خَيلُ الأَعــادي ... وَنادَونـــــي أَجَبتُ مَتى دُعيتُ

بِسَـــــيفٍ حَدُّهُ يُزجي المَنــأيـــا ... وَرُمحٍ صَدرُهُ الحَتفُ المُميتُ
خُلِقتُ مِنَ الحَـــــديدِ أَشَدَّ قَلبـــاً ... وَقَد بَلِيَ الحَـــــديدُ وَما بَلِيتُ
وَإِنّي قَـــد شَـــرِبتُ دَمَ الأَعــادي ... بِأَقحافِ الرُؤوسِ وَما رَوِيتُ
وَفي الحَربِ العَوانِ وُلِدتُ طِفلاً ... وَمِن لَبَنِ المَعامِـــعِ قَد سُقَيتُ
فَما لِلرُمحِ في جِسمي نَصـــيبٌ ... وَلا لِلسَيفِ في أَعضايَ قوتُ
وَلي بَيتٌ عَـــــلا فَلَكَ الثُرَيّا ... تَخِرُّ لِعُظمِ هَيبَتِهِ البُيــوتُ[1]

وهناك صورة بطولية أخرى، وهي صورة من بطولاته، حينما أغار على بني كندة وجشم يبرز قوته وفتكه بالأعداء، وأن من يعانده لا يفديه أحد ويبين هذا الموقف لعبلة سائلاً إياها أن تعاين بطولاته و مواقفه، وإذا رأت قريناً له فمن حقها أن تهجره وتتركه وهي صورة يعطي جوانبها الإعلام الفردي فيها عنصر القوة الفردية، وتضخم الأنا وفيها إكمال للمعركة وجلب النصر فيقول:

صَحا مِن بَعدِ سَكرَتِهِ فُؤادي ... وَعاوَدَ مُقلَتي طيبُ الرُقـــادِ
وَأَصبَحَ مَن يُعانِدُني ذَليلاً ... كَثيرَ الهَمِّ لا يَفديهِ فـــــــادي
يَرى في نَومِهِ فَتَكاتِ سَيفي ... فَيَشكو ما يَراهُ إِلى الوِســـــادِ
أَلا يا عَبلَ قَد عايَنتِ فِعلي ... وَبانَ لَكِ الضَـــلالُ مِنَ الرَشــادِ
وَإِن أَبصَرتِ مِثلي فَاهجُريني ... وَلا يَلحَقكِ عارٌ مِن سَـــــوادي
وَإِلّا فَاذكُري طَعني وَضَربـــي ... إِذا مـــــا لَجَّ قَومُكِ في بِعادي
طَرَقتُ دِيارَ كِندَةَ وَهيَ تَدوي ... دَوِيَّ الرَعدِ مِن رَكضِ الجِيــادِ
وَبَدَّدتُ الفَوارِسَ في رُباهـــــا ... بِطَعـــــنٍ مِثلِ أَفواهِ المَزادِ
وَخَثعَمُ قَد صَبَحناها صَباحـــاً ... بُكوراً قَبلَ ما نادى المُنـــــادي
غَدَوا لَمّا رَأَوا مِن حَدِّ سَيفي ... نَذيرَ المَوتِ في الأَرواحِ حـــادي

(١) الديوان ص ٩٠ ــ ٩١

وَعُدنا بِالنِهابِ وَبِالسَبايـــا وَبِالأَســـــرى تُكَبَّلُ بِالصِفـــادِ

وهناك صورة إعلامية تامة، يركز فيها تركيزاً كبيراً على القتال ، وهي قصيدة يخاطب فيها بني شيبان، وإذ يفضل الطعن والقتل على الشراب، و أن ذلك أحب إليه من الملاهي، والجلوس على كأس، وليس له غرض سوى القتال، ثم يدافع عن نفسه، على الرغم من أنه عبد، ولكن قوته تجعله يلاقي ألف حر، لا تخيفه المواقف، فهو أشد من الحديد، يهابه الشجاع من الأمام والوراء، ومع كل هذه الصور الإعلامية الفردية، نراه يختم الأبيات بذكره لعبلة وكأن هذه القصيدة موجهة إليها فيقول:

صَباحُ الطَعنِ في كَرٍّ وَفـــــرٍّ وَلا ساقٍ يَطوفُ بِكَأسِ خَمرِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِن قَرعِ المَـــلاهي عَلى كَأسٍ وَإِبريقٍ وَزَهـــــرِ
مُدامي ما تَبَقّى مِن خُمـــاري بِأَطرافِ القَنا وَالخَيلُ تَجري
أَنا العَبدُ الَّذي خُبِّرتَ عَنـــــهُ يُلاقي في الكَريهَةِ أَلفَ حُرٍّ
خُلِقتُ مِنَ الحَديدِ أَشَدُّ قَلبـــــاً فَكَيفَ أَخافُ مِن بيضٍ وَسُمرِ
وَأَبطِشُ بِالكَمِيِّ وَلا أُبـــالـــي وَأَعلو لِلسِماكِ بِكُلِّ فَخـــــرِ
وَيَبصُرني الشُجاعُ يَفِرُّ مِنّـــي وَيَرعَشُ ظَهرُهُ مِنّي وَيَسري
ظَنَنتُم يا بَنـــــــي شَيبانَ ظَنّاً فَأَخلَفَ ظَنَّكُم جَلَدي وَصَبري
سَلوا عَنّي الرَبيعَ وَقَد أَتانـــي بِجُردِ الخَيلِ مِن ساداتِ بَدرِ
أَسَرتُ سَراتَهُم وَرَجَعتُ عَنهُم وَقَد فَرَّقتُهُم في كُلِّ قُطـــرِ
وَها أَنا قَد بَرَزتُ اليَومَ أَشفي فُؤادي مِنكُمُ وَغَلـــيلَ صَدري
وَآخُذُ مالَ عَبلَةَ بِالمَواضـــي وَيَعرِفُ صاحِبُ الإيوانِ قَدري[1]

(١) الديوان ص ١٥٨

وهي صورة إعلامية كبيرة فيها اتساع، وفيها اعتماد على الفردية أيضاً يسيطر عليها جانب القوة، ظهرت فيها قوته معتمداً فيها على التبليغ والتهديد والوعيد.

هذه هي الصورة الإعلامية عند عنترة بن شداد فيها شخصيته الواضحة التي يخدم بها نفسه، فكانت صورة فردية واضحة، فيها عدة صور من القوة والحرب وأدواتها، وفي كل جانب من هذه نراه يذكر صورة الحب المتمثلة في عبلة، لذا دمج في هذه الصورة الحرب والحب، أما صورة الجماعة أو القوم ، فكانت منعدمة تماماً، لأننا كما قلنا في أول الأمر إن فخره ومدحه كان فردياً ذاتياً من أجل الحصول على غرض معين و هو الحرية والحب نتيجة الظروف التي مر بها، وكانت العصبية أيضاً مسيطرة عليه و هي عصبية فردية لا جماعية.

وكانت شخصيته الإعلامية فيها شعور نفسي داخلي خاص به دون القوم، وهو شعور كثيراً ما يسبب له القلق والتوتر منذ بداية حياته فنراها في صورة الفزع، والشدة والقوة على الأعداء.

(٣) زهير بن أبي سلمى:

"وزهير أحد الشعراء الثلاثة المتقدمين على الشعراء بالاتفاق"[١]

وهو شاعر متميز، صاحب منهج معين في قصائده الشعرية، فكان حوليا، أمينا في شعره لا يمدح الرجل إلا بما فيه، نال شهرة كبيرة في عصره.

"ويشخص شعر زهير بن أبي سلمى، في لغته رأساليبه وصوره الشعرية، كل ما طرأ على الشعر الجاهلي من تطور، وقد أجاد فهمه، وأفاد من ظواهره

(١) أحمد الأمين الشنقيطي: المعلقات العشر وأخبار شعرائها ص ١٩

الفنية، واستطاع أن يشخص في قصائده المختلفة هذه الصورة أو تلك من التطور في أقصى ما انتهت إليه في عصره"[١]

وهو صاحب نزعات مختلفة، وصفات مأخوذة من الواقعِ المحلي للحياة الجاهلية، واهتم بأحاديثه الشعرية عن الحكم والأمثال، والمواقف الحسنة ونسبتها إلى أصحابها وقد تجلت النزعة العقلية في صيغه الشعرية وفي صفة أخرى هي نزوعه أحياناً إلى بناء الصور التي كان يستمدها من واقع حياته، بناء عقلياً غريباً يقطع ما بينها وبين هذه العناصر المادية التي تدخل في بنائها من صلة.[٢]

إن صورة الإعلام عند زهير بن أبي سلمى تكاد تكون مختلفة عن الشخصيتين السابقتين، ففيها الصراحة والوضوح، وفيها الجوانب الإيجابية، والبعد عن السلبية، وفيها أيضاً جوانب حقيقية من سلام ومدح، وتنفير من الحرب وويلاتها.

وهي صورة متناسبة مع صور الإعلام ي عصرنا الحديث، كما تراه عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، إلا أن الصورة عند زهير متناسبة وظروف العصر الجاهلي الذي عاش فيه الشاعر.

وهو صاحب تصوير بارع لديه القدرة في أن يعلي من شأن ممد وحيه، "وكان زهير يعني بتصويره عناية شديدة وكان ما يزال يحتال على أحكامه تارة بتفصيله وتارة بتلوينه وأخرى باستخدام العبارات التي تعطيه قوة المنظور، وكأنه كان يعرف في دقة الكلمة التي تلائم وصفه معرفة الصانع الماهر الذي أطَّلع على

---

(١) إبراهيم عبد الرحيم محمد : الشعر الجاهلي قضايا وظواهره الفنية والموضوعية، دار نوبار للطباعة والنشر ، مصر ط١ ٢٠٠٠م ص ٢٠٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٣

كثير من أسرار فنه والأدوات التي يستخدمها في صناعته، ويستطيع القارئ أن يعود إلى مطولته فسيراها تصور مهارته في صنع صوره تصويرا دقيقاً"(١)

"ومن ذلك نرى أن زهيراً كان بكل مقوماته ومميزاته وآثاره نتيجة طبيعية للنظام الذي نشأ عليه، وأثرا لازما للأسباب التي أنضجته، وثمرة من ثمرات المكان والزمان اللذين لابساه، ولونا ممتزجا من ألوان شتي تكافأت جميعها على تكوين نفسه تكويناً خاصاً ظهرت آثاره في شعره كما ظهرت في فعله وفي سائر تصرفه." (٢)

وتعد معلقته درة في جبينه، حيث برزت فيها جوانب الإعلام المتوائمة مع ظروف هذا العصر، ففيها من جوانب الإعلام اثنان هما المدح والسلم والحرب وويلاتها، كلها في موقف واحد في صورة إعلامية واضحة.

"ونلمح بين مدائح زهير في معلقته، وقد نظمها مشيداً، بهرم بن سنان والحارث بن عوف حين سعيا للصلح بين ذبيان وعبس فأعلنا أنهما يتحملان ديات القتلى حتى تضع الحرب أوزارها بين القبيلتين المتناحرتين." (٣)

"ومع دخول زهير في موضوعه نجده يعرج على عدة قضايا تبدو متعددة متصارعة أيضاً، وإن كانت ترتبط بخيط واحد يوحد بينهما مجتمعة في كثير من الأحيان، فهو يمدح الرجلين مسجلاً إعجابه بصنيعهما، وهو ينفر من الحرب التي حاولا إيقافها عن طريق الصلح، ويحذر الأحلاف في رسالته التي وجهها إليهم سائلاً إياهم عدم إضمار الغدر أو الخيانة، حرصاً على استمرار الصلح وإتمامه،

---

(١) شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دارا لمعارف ، مصر ط١٠ د.ت.

(٢) عبد الحميد سند الجندي: زهير بن أبي سلمى شاعر السلم في الجاهلية ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ــ مصر د.ت. ص٦٦

(٣) شوقي ضيف : العصر الجاهلي ص ٣٠٧

وهو يذكر القبائل بأخطار الحرب في صورة توحي بالتشاؤم، ليضخم من خلالها قيمة المبادرة التي تقدم بها السيدان لإنقاذ القوم من الفناء."[١]

ونرى إبداعات الشاعر، وإبراز صوره الإعلامية يذكر فيها مكانة السيدين العظيمين في عاطفة تتجلى فيها براعته ، وإحساسه العميق، وهي صورة تخلو من التهديد و الوعيد، بل تجد فيها المدح الخالص، وهي صورة متلائمة مع صور الإعلام في عصرنا الحالي ولكنها تختلف لأن في عصرنا الحالي نجد السرعة في انتشار وسائل الإعلام، وسرعة الأخبار عن الحرب والسلام، أما في العصر الجاهلي فكان الانتشار الإعلامي بطيئاً نتيجة الظروف والوسائل.

"وهنا صور ذهنية يصف فيها الحرب وما تجره على أصحابها من دمار، وهي صورة مخيفة بشعة قد اتخذت فيها هذه الحرب المشئومة أشكالاً مختلفة، فهي تارة أسد ضار، وتارة ثانية نار مشتعلة لا

تبقي ولا تذر، وتارة ثالثة رحى تطحن الناس، وهي آخر الأمر ناقة مشئومة، مثل ناقة عاد تلـــــد المشئوم

من الذراري إلى غير ذلك من الصور الجزئية التي اعتمد زهير على عقله في تأليفها."[٢]

إن صورة الإعلام عند زهير تتسم بسمتين الأولى وهي المدح، وفيها صورة واقعية لا توجد مبالغة فيها ولا رياء، أما الثانية وهي صورة واقعية أيضاً فيها الدعوة إلى السلم والتنفير من الحرب، فمن الجانب الأول يمدح السيدين مبيناً ما لهما من مكانة في القوم، وما اتسما به من كرم.

---

(١) عبد الله التطاوي: إشكال الصراع في القصيدة العربية في العصر الجاهلي ــ مكتبة الأنجلو المصرية ط٢ ١٩٩٩م ص ٩٩

(٢) ابراهيم عبد الرحمن: الشعر الجاهلي قضايا وظواهره الفنية والموضوعية ص ٢٠٧

وهي صورة إعلامية واقعية وضح فيها مكانة السيدين أو الساعيين، مبرزاً القسم بالبيت العتيق، ومؤكداً هذا القسم المبروم، وقد سعيا لذلك بالمال والمعروف يؤكد على الأحلاف عدم العودة إلى الحرب فيقول:

سَعى ساعِيا غَيظ بنِ مُرَّةَ بَعدَمـــا تَبَزَّلَ ما بَيـنَ العَشيرَةِ بِالدَمِ
فَأَقسَمتُ بِالبَيتِ الَّذي طافَ حَولَـهُ رِجالٌ بَنَوهُ مِن قُرَيشٍ وَجُرهُمِ
يَميناً لَنِعـــمَ السَيِّدانِ وُجِدتُمـا عَلى كُلِّ حالٍ مِن سَحيلٍ وَمُـبرَمِ
تَدارَكتُما عَبساً وَذُبيانَ بَعدَمـــا تَفانوا وَدَقّوا بَينَهُم عِطرَ مَنشِمِ
وَقَد قُلتُما إِن نُدرِكِ السِلمَ واسِعاً بِمالٍ وَمَعروفٍ مِنَ الأَمرِ نَسلَمِ
فَأَصبَحتُما مِنها عَلى خَيرِ مَـوطِنٍ بَعيدَينِ فيها مِن عُقوقٍ وَمَأثَمِ
عَظيمَينِ في عُليا مَعَدٍّ وَغَيرِهـا وَمَن يَستَبِح كَنزاً مِنَ المَجدِ يَعظُمِ
فَأَصبَحَ يَجري فيهِمُ مِن تِـلادِكُم مَغانِـمُ شَتّى مِن إِفالِ المُزَنَّمِ
تُعَفّى الكُلومُ بِالمِئينَ فَأَصبَحَت يُنَجِّمُها مَن لَيسَ فيها بِمُجرِمِ
يُنَجِّمُها قَومٌ لِقَـومٍ غَـرامَةً وَلَم يُهَريقوا بَينَهُم مِلءَ محجَـمِ[1]

"واستطاع زهير أن يحيط بكل جوانب القضية الاجتماعية التي أخذ على عاتقه معالجتها، ومحاولة الوصول فيها إلى كل حلول إيجابية، فوقف يدعو مجتمعه إلى كل ما ينفعه وينفره من كل ما يضره، ويدعو إلى السلم ونبذ الحرب، ويدعوه إلى البذل من أجل المحتاجين الفقراء، ويبغض اليه البخل والحرص على المال مذكراً بأن مآله إلى الزوال."[2]

---

(١) ديوان زهير: شرح الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني تغلب: الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، د.ت. ص ١٤- ١٧

(٢) فتحية محمود فرج العقدة : الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى ـ دار العلوم للطباعة والنشر ـ الرياض ط١ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص٧٢- ٧٣

وهذا الأمر عند زهير فيه معالجة للمجتمع، وجوانب قيِّمة خلدته على مَّر العصور والأزمان، ونؤيد رأي الأستاذ الدكتور محمد أبو الأنوار حينما قال "إن هذه القصيدة واحدة من الأدلة الرشيدة على حب العرب للسلام ورغبته وحرصه عليه، إلى ذلك الحد الذي يرى فيه بعض شيوخ الأمة العربية يعطون من أنفسهم هذا العطاء الواسع الناس من مالهما الخاص ورغبة في الحفاظ على السـلام ونشـره في ربوعه بين القبائل والعشائر.[1]

وهو صادق في كل ما قَّدم من صور للمدح والسلام فيها تواؤم مع ظروف العصر، قدم لنا الصورة الواقعية التي طرقها في هذا الجزء الذي برزت فيه عبقريته الشعرية، فهو انفرد انفراداً تاماً في هذا الجانب أي المدح لأنه كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه كما أسلفنا أما عن الجانب الثاني، وهو صورة الحرب وويلاتها فإنه يصف صورة إعلامية صادقة لما تخلفه هذه الحرب، وهي صورة واقعية أيضاً لانقول في العصر الجاهلي، بل على مر عصور الحياة من الجاهلية إلى وقتنا الحالي، ولكن براعة زهير وذكائه جعلته يصور ذلك بصدق وواقعية.

"وحديث زهير عن الحرب،حديث شاعر يعرف كيف يصوغ إطار معانيه،فيضعها في موضعها من الكلام، فلن نجد في كلامه تعاظلاً،ولا تناقضاً، بل يجري جري الأفراس في أعنتها، والفارس ممسك يوجه متى شاء، لذلك تراه يتحدث ساعة قيام الصلح حديثاً يناسب الحالة، فلا يرد فيه، ما ورد في القصائد الأخرى عندما وصف ممدوحيه بالشجاعة والإقدام في الحرب."[2]

فهو يراقب الواقع الفعلي لحالات المجتمع والظروف المحيطة به.

---

(١) محمد أبو الأنوار الأوار: الشعر الجاهلي مادته الفكرية وطبيعته الفنية ص ٢٦٥

(٢) عادل جاسم البياتي: الشعر في حرب داحس والغبراء ص ٤٢٦

إن صورة الحرب عند زهير بن أبي سلمي جوانب كاملة للدمار والهلاك، وفيها مالا تحمد عقباه وهي صورة واضحة رآها زهير فيقول:

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ ... وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ
مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَـــةً ... وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ
فَتَعرُكُم عَرَكَ الرَحى بِثِفالِها ... وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِل فَتُتئِـــمِ
فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُـــم ... كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فَتَفطِمِ
فَتُغلِل لَكُم ما لا تُغِلُّ لِأَهلِهـــا ... قُرىً بِالعِراقِ مِن قَفيزٍ وَدِرهَمِ

إن الناظر في هذه الأبيات والتي رسم فيها زهير صورة الحرب يجد فيها اكتمال الصورة عنده في هذا الوصف، وكأنه خاض الحرب مع قومه، ونؤيد كلام الدكتور محمد أبو الأنوار حينما قال عن هذه القصيدة "ثم نرى شاعرنا عميق الصدق قوى التأمل لويلات الحرب وشرورها ، ولذلك فهو يحرص على التنفير منها، ومعنى ذلك أن الأمة العربية كانت تعي دور السلام وأهميته في حياة الإنسان، فهي أمة محاربة بما فيها من رغبة في الحياة الكريمة،وهي أمة حريصة على السلم بما فيه من عدالة وأمن واحترام أو كما يقول تعبيرنا السياسي الحديث : السلام القائم على العدل والحرية والكرامة" (١)

وهي طبيعة العربي على مر العصور، وطبيعة الحياة الجاهلية قريبة العهد بالإسلام، وذلك إن الأبيات تناولت كل ما جاءت به السمات الإسلامية من سلام، وعفو وعطاء وحكمة وغيرها.

"ونلاحظ أن الشاعر هنا قد سجل لنا صفحة نادرة مشرقة من تاريخ الإنسان العربي، وهي الخاصة بتحمل الحارث بن عوف، وهرم بن سنان لديات القتلى بين الفريقين ولا ذنب لهما ولاجريرة في اشعال الحرب والاشتراك فيها، وهذا الموقف

(١) محمد أبو الأنوار : الشعر الجاهلي مادته الفكرية وطبيعته الفنية ص ٢٦٦

نفسه قد هز وجدان الشاعر الذي يعيش وسط ملحمة الكرم العربي والعطاء العربي، وهذا الشاعر نفسه يتضح في قصيدته مدى تقديره بل دهشته من هذا العطـــاء النبيل للرجلين في سبيل إيقاف الحرب وإشاعة السلام."[١]

"ونخلص من هذا كله إلى أن تلك المعلقة من أصدق الصور لشعر زهير، ومن خير نماذج الشعر الجاهلي في قمة كماله وأوج نضجه، كما نخرج إلى تعدد الجوانب المتنوعة لشعر زهير التي مثلتها المعلقة من إيمان بالخير والنبل والسلام ودعوته إليه والإعجاب بمن يمثل هذه القيم الرفيعة، ومن دعوة إلى الحق وتصوير للحقائق في حكمه الرائعة، ومن احساس بالجمال في صورة المتنوعة وتقديره ووصفه ذلك الوصف البديع المحكم في اسلوب رصين وعبارات جزلة، متجنباً الحوشي والغريب."[٢]

هذه هي صورة الإعلام والتي برزت على لسان الشاعر زهير بن أبي سلمى، قرأنا فيها الصدق والواقعية، وهي صورة مختلفة للسابقين له فهو رجل أمن، ورجل سلام، ظهرت شاعريته في ذلك فيها القيم الخلقية والاجتماعية والسياسية وغيرها، وفي كل جانب نجد الواقعية ونجد الصدق، فهو لم يبالغ في ذلك، بل رسم لنا هذه الصورة دون أن يبتغي جاهاً ولا مالاً، وكانت لديه المقدرة على أن يؤثر تأثيراً مباشراً في سامعيه، لأن معانيه عظيمة تؤثر في نفوسهم تأثيراً عميقاً، لخلوها من الغُلوّ، فهي جوانب صادرة عن صدق وواقعية، وهي صورة إعلامية ممتدة منذ العصر الجاهلي، وحتى الآن، صورة فيها النصح والإرشاد تسيطر عليها حياة البداوة بما فيها من صدق،وصور متعددة من البيئة التي عاشها الشاعر، فكان من شعراء السلام، وفق إلى إخماد نار الحرب التي نشبت بين قبيلتي

---

(١) محمد أبو الأنوار: الشعر الجاهلي مادته الفكرية وطبيعته الفنية ــ مرجع سابق ص ٢٦٧

(٢) محمد أبو الأنوار: المرجع السابق ص ٢٦٧

عبس وذبيان، وقد طرق هذا الباب بعد أن قضت الحرب على الأخضر واليابس، ظهرت فيها شاعريته، ومقدرته الفائقة في ذلك الوقت، فصور الحرب بصورة واقعية ملموسة مبرزاً فيها الإحساس القوي بما تخلفه، وهذه الصورة يحتويها العنف، والصور القاسية التي لا يطيقها، وهي ما نراها عبر وسائل الإعلام في عصرنا الحالي.

٢- عصر صدر الإسلام :

أشرقت سماء الإسلام، وتغير الحال عما كان عليه سابقاً، فعم نوره أرجاء الدنيا، وسار التطور بأنواعه الفكري والحضاري،والاجتماعي، والسياسي وكان لهذا التغير أثر على الشعر العربي وموضوعاته، فمن المجون والغزل، والعشق والحب والهيام، إلى الدفاع عن الدين الجديد، وتأييد للرسول صلى الله عليه وسلم.

"لقد نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم تصحيحاً لموازين العقول وتربية النفوس وإصلاحاً للمجتمع وكل هذا ابتغاء اقامة الحياة الجديرة بالإنسان والتي يتمكن فيها من إزكاء فكره، إزكاء يعود بالخير على شعوب الأرض قاطبة، ولذلك فإن للعقل المقام الأسني في الإسلام وما ذلك إلا لأن القرآن قد جاء لتغيير الفكر لا لتغيير اللغات و إحلال العربية مكانها، ومعنى تغيير الفكر تغيير الحياة، ومعنى تغيير الحياة تغيير الطرائق التي يتداولها الناس في صنع الحياة."(١)

وهذا التغيير نتيجة سماحة هذا الدين واشراقه وانتشاره في أرجاء المعمورة.

"ويحرص الإسلام غاية الحرص على إحاطة المجتمع بكل أسباب المنعة والقوة وعلى دعم أصح الأسس والقواعد التي تكفل له السلامة والصلابة في

---

(١) محمد عبد الواحد حجازي: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع الاسكندرية د.ت. ص ٧٥

حاضره ومستقبله، وهو في هذا لا يميل إلى طائفة دون طائفة ولا يعطي لجنس على حساب جنس آخر بل الكل سواء في شرعة الحق و الحياة شرعة القرآن الكريم... فلا ميل هوى ولا إفتيات عصبية" (١)

"وهو دين الشريعة الإلهية الأخيرة التي تفرض سلطانها على كل ما سبقها من شرائع سماوية، وهو يقوم على ركنين هما: العقيدة والعمل." (٢)

"وقد أثمرت جهود الرسول صلى الله عليه وسلم في صقل مواهب الشعراء المسلمين فصارت تعطي أكلها عند الفتح، أو قبله بقليل، فالمعني الإسلامي في الشعر في هذه الفترة بدأ يتضح ويتعمق، وصارت الشخصية الإسلامية في الشعر تتميز عن شخصية الشاعر الجاهلي، فبعد أن كان الفخر في الحرب بقوة العدة والعدد، وبلاء القبيلة وكسب المغنم وسبي العدو، صار الفخر في شعر المسلمين بنيل الشهادة في سبيل الله، وانتصار جند الله وأمه المسلمين ــ لا القبيلة ــ على أعداء الله المشركين وصار المكسب كسب رضوان الله لا كسب الشاه والبعير."(٣)

وهذه ظاهرة تخلو من المبالغة والنفاق، فالشاعر لا ينتظر مالاً ولا جاهاً، وانما ينتظر الثواب، والفوز بالنعيم في الآخرة.

"والشعر بأغراضه المختلفة ومعانيه الوافرة كان معهوداً لدى رجال الصدر الأول، بل مطروقاً من قبل شعرائهم، مادام ملتزماً حدود الأدب، والذوق الرفيع، ولا يتنافى وملامح التصور الإسلامي السديد، وبعيداً عن الكذب والتهتك والتجني،

---

(١) السابق ص ٧٥

(٢) شوقي ضيف: العصر الإسلامي، دار المعارف ، مصر ط١١ د.ت. ص ١١

(٣) يحيى الجبوري: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ط٥ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م ص ١١٨

قصياً عن أن يكون أداة لنشر الرذيلة وإثارة النزوات، وتأجج الإحن والضغائن والأحقاد."[١]

"وللشخصية المحمدية أثرها في الشعر عامة فهي النفحة القدسية التي يتنسم عبيرها الشعراء ويطمئن إلى رحابها أرواح المعذبين القلقين، فالإنسان شاعراً كان أم كاتباً يجد في كل جوانب هذه الشخصية العظيمة المثل الأعلى الذي يرجوه، والدليل الذي يهديه والشمائل التي تغمره بحنانها فتبدل خوفه وحربه سلاماً ورجاء وتسابق الشعراء حول الرسول صلى الله عليه وسلم وكل يستلهم عبقريته عند إنشاده القصيدة."[٢]

إن صورة الإعلام في هذه الفترة تتسم بالجوانب الواقعية، وفيها تعبير عن وجهات النظر الإنسانية، وكان الشعر هو السيف البتار للمشركين، وكان الشعراء أصحاب مواقف إيجابية مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الشعر أيضاً السلاح الثاني بعد القتال في الغزوات والحروب، فكانت الصورة بارزة عند معظم الشعراء الإسلاميين وغير الإسلاميين، إلا أن الشعراء الإسلاميين كانوا أصحاب عقيدة وإيمان أما غير الإسلاميين فكانوا أصحاب الشرك والكفر، ومن الشعراء الإسلاميين أصحاب العقيدة الصادقة والمواقف الإيجابية حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك لما اتسم به هؤلاء من مواقف بطولية مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

---

(١) مصطفى عيد الصياصنة: الشعر في رحاب النبوة، شركة المدينة للطباعة والنشر ، ط١ ١٤١١هـ ١٩٩١م ص ٩٧

(٢) محمد عبدالواحد حجازي: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ص ٩٩

(١) حسان بن ثابت

من الشعراء المخضرمين، صاحب مواقف إيجابية مع الرسول والدعوة، فهو صاحب نزعة دينية، لم تكن من فراغ، وهي ملازمته للرسول في كل مواقفه، فكان لسانا باتراً أمام المشركين متسلطاً عليهم.

"وكان من المعمرين ،والمؤرخون يكادون يتفقون على أنه عاش مائة وعشرين سنة، وستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، فهو إذن قد دخل الإسلام بعد أن مضى الشطر الخصيب الذي تتمثل فيه القدرة على البناء والابتكار، والاستعداد للتشكل والتكيف، فمن الظلم لحسان وللشعراء أن يقارن شطر عمره الأول بشطر عمره الثاني على أساس الكفر والإيمان، أو الشر والخير، دون أن يقام وزن للشباب والشيخوخة، وللقدرة والعجز."(١)

ولكن فترة حياته في الإسلام كان لها صداها وأثرها في التحول عنده، فكان صاحب مواقف إيجابية مع الدعوة، فيها الصدق مع أهل الحق وأهل الباطل، يدعو إلى نصرة الحق وأهله، لايكف عن الانتصار للحق في كافة الأغراض الشعرية من فخر ومدح وهجاء، وفي كل جانب من هذه الجوانب نرى صورة إعلامية بارزة فيها تضخم للأنا الداخلية على لسان الجماعة من المسلمين، متحدثاً على لسانهم بصورة فيها إرعاب وترهيب للمشركين و ثقة وإيمان للمسلمين.

"وقد نجح الإعلام الإسلامي في أداء رسالته النابعة من الإسلام كعقيدة يقوم عليها نظام اجتماعي متميز عن سائر النظم الاجتماعية التي عرفتها البشرية، ومن خصائص الإسلام التي أدت إلى نجاح الإعلام الإسلامي أن الإسلام دين عالمي مبرأ من العصبية العنصرية، ومن التعصب الديني، ومن ثم فهو يسمح لكل إنسان

---

(١) محمد محمد حسين: الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ٢١٢

أن ينضم إلى موكبه في يسر، وأن يتمتع فور اعتناقه بكافة الحقوق التي يتمتع بها كل مسلم من أي جنس، ومن أي قبيلة."[١]

لذا كشف الإعلام في هذا العصر عن طبيعة المسلمين ومواقفهم أمام حزب المشركين.

"وبدأت المزاوجة المعجمية تفرض نفسها على الشعراء المخضرمين، وبدأت الألفاظ الإسلامية والصور تتناثر بين الأبيات في شعر تلك المرحلة التي بدت ذات طبيعة خاصة تميز بها شعراؤها خاصة منهم شعراء المدينة المنورة، إذ غلب على معظمها عنصر التقرير أكثر من التصوير، وكثرت الصياغة المباشرة، حتى غلبت على إبداعهم، وكأنما جاءت التقارير ضرورة تتسق مع طبيعة تلقي الشعراء للفكر الديني الجديد، فإذا بالشاعر يدير حواره حول قضايا الرسالة ، فيذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته ويستوقفه أمر جبريل كواسطة للوحي بين الله سبحانه وتعالى وبين رسوله عليه الصلاة والسلام، فيسجل ما يعرفه عن القرآن الكريم أو إعجازه أو تشريعه."[٢]

وهي جوانب واقعية نتيجة التغير الذي ساد في هذه الفترة.

"ونظم حسان في جميع أغراض الشعر وكثر نظمه في الفخر والحماسة والمدح والهجاء وبخاصة في أيام الجاهلية أما في الإسلام فقد وقف شعره على الدفاع عن الإسلام ورسول الإسلام."[٣]

---

(١) عبدالعزيز مشرف وآخريون : الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، دار الجيل ، بيروت ط١ ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ص ٢٥٩

(٢) عبد الله التطاوي: حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، دار غريب للطباعة والنشر، مصر د.ت. ص ١١

(٣) محمد بن سعد بن حسين :من شعراء الإسلام، مطابع الفرزدق التجارية ـ الرياض ط ١ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ص ١٦

وإذا أردنا أن نقف أمام همز يته، وجدناها هي تعد درة في جبينه، لما حوته من مواقف إيمانية صادقة ، ومواقف إعلامية بارزة سيطرت روح الإسلام عليها، فيها مدح للإسلام والمسلمين وللرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها تحقير من شأن المشركين وقياداتهم وضعفهم، وفيها اذلال لهم، مع إبراز صورة الحق من الباطل وهي صورة واقعية.

"وهذه القصيدة قالها بعد صلح الحديبية،التي بشرا الله سبحانه وتعالي فيها المسلمين بقرب فتح مكة، يتبين فيها بوضوح أن طول ممارسة حسان للشعر الإسلامي بدأت تترك أثراً واضحاً في شعره، وأن قيماً إسلامية جديدة تلبس قوالب تعبيرية جديدة محكمة الصنع قد بدأت تبرز بروزا واضحاً، فاللغة تبدو طبيعية تستجيب له ولا تأبى عليه، والشاعر يبدو مالكاً لها متمكناً في صناعته حين يعبر عن هذه الحياة الجديدة بكل أفاقها الخلقية والاجتماعية والدينية، والتي تختلف عن كل ما ألفه الشعر الجاهلي بأساليبه المأثورة وقوالبه."(١)

والقصيدة تتكون من ثلاثة أجزاء، الأول لا علاقة لنا به لأنه بعيد كل البعد عن موضوعنا، وقد اختلف الرواة عليه، منهم من قال أنه من شعره الجاهلي، ومنهم من قال أنه مسايرة للأقدمين في منهج القصيدة عند المخضرمين.

أما الجزء الثاني فهو موضوعنا، ففيه صورة إعلامية كاملة من حيث قوة المسلمين ومكانتهم من قتل وطعن، وفرار لهم، والجزء الثالث هو من صميم موضوعنا ففيه هجاء لأبي سفيان زعيم الشرك في هذه الفترة وتحقير من شأنه.

ففي القسم الثاني من القصيدة، وهو الأول في موضوعنا يتحدث بصورة فيها القوة الإيمانية بحديث شديد اللهجة للمشركين مبيناً حالتهم وفرارهم بتركهم

---

(١) محمد محمد حسين : الهجاء والهجاءون في الجاهلية ــ ص ٢٣٢

لنسائهم وليس معهن شيء سوى غطاء الوجه يتلقين ضربات المسلمين، وهذا دليل على الضعف.

وقد وفق حسان في إبراز الصورة الإعلامية في هذا العصر مبيناً أن المسلمين والإسلام لديهم المقدرة على الحرب والسلم بالحماس الذي وضحه في ذلك.

وهذا الإنذار الأول في المعركة التي أرادها حسان أن تكون الخاتمة الفاتحة أوضح لها فيها العدة القتالية من الخيل المسومة، والفرسان الأقوياء الذين استحبوا الآخرة على الأولى، وقال إننا لسنا أهل غدر أو سفك دم أو مباغتة، ولكنها مع أنها حرب وما فيها من خدع تفرض عليكم أحد أمرين، إفساح الطريق والبعد عن جماعة المؤمنين ليدخلوا مكة معتمرين كما كان العهد سابقاً، وبهذا نكف أيدينا عنكم وتكفون أيديكم عنا، وإلا تفعلوا تكن الحرب وأظنكم لا تجهلون نتائجها والله ينصر من يشاء ويؤيد بجنده كما كان الحال من قبل والآن يتحدد الموقف."[1]

وهو موقف يرجح بالمقابل كفة المسلمين الذين ظلت خيلهم مستمرة مسومة إزاء هدفها، لرفع راية الإسلام فوق شعاب مكة المكرمة، وبذلك يسيطر أعظم فتح بأعز نصر من الله سبحانه وتعالى."[2]

" والقصيدة مع ذلك كله تمتاز بعلو النفس وبالتدفق العاطفي الذي يجري في كل أبياتها، وبالغيرة السابقة، والحب العميق والروابط القبلية القوية حين يتحدث عن

---

(١) عبد الرحيم زلط، التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة، دار اللواء للنشر والتوزيع ــ الرباط ط١ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص ٢٢٧

(٢) زكريا عبد الرحيم صيام : الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، مصر د.ت. ص ٥٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم."[1]

وهذا بمثابة رسالة إعلامية فيها تفاوت بين اللفظ والتهديد، وبين السلم والحرب، وهي رسالة فيها الإفصاح للآخرين عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وهي بالدرجة الأولى اتصالات تحدث بينه وبينهم، فيها المواجهة بالصوت المسموع مرسلة إلى جمهور المتلقين، وهي وسيلة اتصال جماهيرية قادرة على أداء دورها المتميز فيقول:

عَدِمنا خَيلَنا إن لَم تَرَوهـــــا ... تُثيرُ النَقعَ مَوعِدُها كَداءُ
يُبارينَ الأَسِنَّةَ مُصغِيـــــــاتٍ ... لَدى أَكتافِها الأَسَلُ الظِماءُ
تَظَلُّ جِيادُنـــا مُتَمَطِّـــــراتٍ ... تُلَطِّمُهُـنَّ بِالخُمُرِ النِساءُ
فَإِمّا تُعرِضوا عَنّا اِعتَمَـرنـا ... وَكانَ الفَتحُ وَانكَشَفَ الغِطاءُ
وَإِلّا فَاصبِروا لِجَـــــلادِ يَومٍ ... يُعيـــنُ اللَهُ فيهِ مَن يَشاءُ
وَقالَ اللَهُ قَد يَسَّـــــرتُ جُنداً ... هُمُ الأَنصارُ عُرضَتُها اللِقاءُ
لَنا في كُلِّ يَومٍ مِن مَعَـــــدٍّ ... قِتـــالٌ أَو سِبابٌ أَو هِجاءُ
فَنُحكِمُ بِالقَوافي مَن هَجانـــا ... وَنَضرِبُ حينَ تَختَلِطُ الدِماءُ
وَقالَ اللَهُ قَد أَرسَلتُ عَبـــداً ... يَقولُ الحَقَّ إِن نَفَعَ البَلاءُ
شَهِدتُ بِهِ وَقَومي صَـــدَّقوهُ ... فَقُلتُم ما نُجيبُ وَما نَشاءُ
وَجِبريلٌ أَمينُ اللَهِ فينـــا ... وَروحُ القُدسِ لَيسَ لَهُ كِفاءُ [2]

وفي هذه الصورة نرى تأثر الشاعر بالإسلام ومبادئه، فهو دين سلام وعقيدة ومذهب، وقد نجح حسان بن ثابت في ذلك، وانتصر إعلامياً على المشركين، وكانت الصورة كاملة في هذا الموقف، ففيها القوة وفرار المشركين، وأن المسلمين

(١) المرجع السابق ص ٥٣
(٢) الديوان ص ٧٣ ــ ٧٥

لديهم المقدرة على جانبين في القتال وهما القوافي،والضرب، وهذا دليل على القوة المتعددة عندهم، وهذا دليل أيضاً على الإيمان الصادق الذي كان مسيطرا عليه .

"وعلى هذا النحو كانت روح الوضوح والإبانة أشد سيطرة على أذهان شعراء ذلك الجيل، فظهروا شديدي التأثر بقيم الدين الجديد ومعجمه،شديدي الالتزام بمبادئه، حتى جعلوا من شعرهم معرضاً طيباً لها، صحيح أنهم ظلوا على صلة وثيقة بالشكل الفني للقصيدة الجاهلية، ولكنهم لم يقصروا على طرح القيم الجديدة من خلال ذلك الشكل- على تنوع مستوياته – بين قصائد طوال أو قصار أو مقطوعات أو حتى رجز، وفي غير حاجة إلى تعليق شيوع التقريرية ومباشرة الأداء بما يتسق مع إيقاع الحياة الجديدة، وطبيعة الموضوعات المعالجة في ظلالها."(١)

وهي صورة إعلامية جاءت على لسان حسان بن ثابت، جاءت عن طريق الإيمان أولاً والفطرة والارتجال ثانياً متعلقة بالإيجاب أدت دورها الكامل، وكانت وثيقة الصلة بالحياة الجديدة آنذاك، وكانت أيضاً متوائمة مع ظروف العصر.

" وتجلي حسان بالخلق الإسلامي، ونهج في مدحه منهجاً إسلامياً، فخص بمدحه الرسول وأصحابه

وذوي البلاء الحسن من أبطال الإسلام."(٢)

"وكان الرسول من وراء الشعراء يؤيدهم ويقويهم على ما يقولون لأنه كان يدرك أبعاد تلك المعركة الإعلامية الشرسة بين العقيدة الجديدة وخرافات

---

(١) عبدالله التطاوي، حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ــ ص ١٥

(٢) محمد طاهر درويش : حسان بن ثابت ، دارا لمعارف ــ مصر ــ د.ت. ص ٤٣٨

الجاهلية... ونتيجة لهذا الصراع تبلور فن النقائض الذي وجدت بذرته الأولى قبل الإسلام."[1]

أما الجزء الثاني من القصيدة، ففيه جهاد مستميت من حسان في كل موقف من المواقف الإيمانية الصادقة، فنرى فيها مكانة الإسلام والمسلمين ونرى أيضاً التحقير من شأن المشركين، وعلى رأسهم أبو سفيان، مبرزاً الصورة الإعلامية بما حوته من توبيخ واستهانة به، والتصدي للمشركين في صور تفاؤلية، مبرزاً فيها الاتجاهات التي حوتها وسائل الإعلام في هذه الفترة من خوف ورهبة، وتشاؤم ساد المشركين، وقوة ثبات المسلمين وهي صورة تمثل اتجاهاً إيمانياً عند حسان، فيها اهتمام بالرسول صلى الله عليه وسلم بشكل أكبر وأهم، وهي قوة إعلامية، فيها طابع الإيمان القوي تجعل المسلمين على ثقة بأنفسهم.

"وتقوم الأسس الاتصالية للإعلام الإسلامي على قوانين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي القوانين التي تدفع بمفكري العصر إلى المناداة بدراسة الإنسان، فالإعلام الإسلامي يقوم على الوضوح والصراحة ودقة الأخبار والمعلومات، لأنه يخاطب العقل في المحل الأول."[2]

وهنا وفق حسان في إبراز صورة إعلامية فيها الجوانب الدينية والأخلاقية.

"وفي هذا القسم يرد فيه على أبي سفيان نراه يعود إلى الدائرة الجاهلية، فإذا هو يهجوه بالجبن والهلع، وإذا هو يعيره بالهزيمة أمام الأنصار الذين تركته سيوفهم

---

(١) أحمد سويلم: الإعلام الشعري في التراث العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٩٧م ص ٩٦

(٢) أمينة الصاوي، وعبد العزيز شوقي: نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية، دار مصر للطباعة ، مصر د.ت. ص ١٩٩ - ...

عبداً ذليلاً، كما تركت لواء قريش يوم أحد في أيدي الإمام بعد أن تساقط رجال عبد الدار عنه.

ولكن حسان لا يلبث أن يعود في هذا القسم نفسه إلى الدائرة الإسلامية، فيعلن أنه يرد عن النبي هجاء المشركين وهو لا ينتظر إلا جزاء الله، ويمدح النبي بأنه مبارك بر حنيف، وأنه أمين الله شيمته الوفاء، وهي كلها معان إسلامية غير مألوفة في الشعر القديم ، فلم يكن القدماء يمدحون بمثل هذه المعاني وإنما كانوا يمدحون بالشجاعة والكرم والنجدة، بل يمدحون بالظلم والجهل أيضاً، ومن الواضح أن حساناً في هذه الأبيات يستغل العناصر الإسلامية، ويعتمد على المعاني والألفاظ القرآنية، وكأنه بها يضع تقاليد جديدة لقصيدة المدح الإسلامية."(١)

وهذا دليل على مواقفه الإيجابية التي برزت في شاعريته وجهاده بلسانه فصار سيفاً باتراً أقوى من السيف، لأن الإعلام يخفض من معنويات الشخص، وهكذا كان حسان.

"وكانت مكانة حسان الشعرية في هذا الطور تقوم على الهجاء الموجع، الذي يرمي به أعداء الإسلام، وقد كان هجاؤه موجعاً، لأنه لا يقوم على هذه المثل الإسلامية التي يهزأ بها القوم، وكان يوجع أعداءه بالهجاء المفحش الذي بلائم جفاء البدو، وخشونة طبائعهم، فيتردد على ألسنة الرواة، ويتندر به الأعراب في أشعارهم، لما فيه من صور بارعة تضحك هذه الأذواق الغليظة."(٢)

---

(١) يوسف خليف: تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٩٧١ ص ٤٤ ـ ٤٥

(٢) محمد محمد حسين : الهجاء والهجاءون في الجاهلية ــ مرجع سابق ص ٢٤٠

ويتوالي حسان في استماتته في هذا الجزء بالدفاع عن الرسول وكان صادقاً وفياً مخلصاً، وهذا دليل على صدق إيمانه من ناحيتي القلب واللسان، فكان القلب راسخاً يعمره الإيمان، وكان اللسان باتراً يرد على المشركين.

"وتتجلى النزعة الدينية الصادقة لدى حسان في الرد على المشركين بأن يفتدي محمداً رسول الرحمة والهداية بأبيه وجده وكل ما يجب عليه حمايته، وإذا كان حسان يضحي بكل ذلك حفاظاً على النبي ووقاية له من كيد المشركين، فإنما يدل ذلك على رسوخ إيمانه، وصدق عاطفته، كرجل عمر قلبه بنور الإيمان، ولاشك أن مثل هذه التضحية مطلوبة من كل مسلم تمحيصاً لعمق إيمانه."[1]

فكان حسان مرآه إسلامية، وصورة إعلامية صادقة للإسلام وللرسول والمسلمين في هذا الجزء من القصيدة فيقول:

أَلا أَبلِغ أَبا سُفيانَ عَنّي ... فَأَنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ
هَجَوتَ مُحَمَّداً فَأَجَبتُ عَنهُ ... وَعِندَ اللَهِ في ذاكَ الجَزاءُ
أَتَهجوهُ وَلَستَ لَهُ بِكُفءٍ ... فَشَرُّكُما لِخَيرِكُما الفِداءُ
هَجَوتَ مُبارَكاً بَرّاً حَنيفاً ... أَمينَ اللَهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ
فَمَن يَهجو رَسولَ اللَهِ مِنكُم ... وَيَمدَحُهُ وَيَنصُرُهُ سَواءُ
فَإِنَّ أَبي وَوالِدَهُ وَعِرضي ... لِعِرضِ مُحَمَّدٍ مِنكُم وِقاءُ
فَإِمّا تَثقَفَنَّ بَنو لُؤَيٍّ ... جَذيمَةَ إِنَّ قَتلَهُمُ شِفاءُ
أُولَئِكَ مَعشَرٌ نَصَروا عَلَينا ... فَفي أَظفارِنا مِنهُم دِماءُ
وَحِلفُ الحَرثِ اِبنِ أَبي ضِرارٍ ... وَحِلفُ قُرَيظَةٍ مِنّا بُراءُ

(١) زكريا عبد الرحمن صيام: الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ــ مرجع سابق ص ٥٧ – ٥٨

لِساني صارِمٌ لا عَيبَ فيـــــــهِ وَبَحري لا تُكَدِّرُهُ الدِلاءُ[1]

إن صورة الإعلام عند حسان بن ثابت برزت فيها الجوانب الدينية من دفاع عن العقيدة والمذهب، والرسول صلى الله عليه وسلم، مما يجعل الإنسان أن يحكم عليه بالحقيقة المؤكدة أنه صادق في كل ما قاله من أشعار لأنه استغل هذا الشعر، وهذه الصورة الإعلامية استغلالاً إيمانياً، فكانتا بمثابة النار الحامية في وجوه المشركين، ناراً ما تنطفئ إلا لتلهب أقوى وأشد.

كما كان حسان مدفوعاً دفعاً في هذه الأمور وكأنه يقاتل بسيف بتار في صولة كبيرة، وفي هذا الشعر إبراز كبير في الدفاع عن الدين، وكان في شعره اكتمال قوة المسلمين في ميدان القتال بألفاظ قوية ملتهبة، مما جعلته صاحب رسالة عاش من أجلها وضحى في سبيلها لأنه التزم بشرف الكلمة، والعقيدة والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

(٢) عبد الله بن رواحه

نموذج مثالي من الشعراء المخضرمين، ومن أصحاب المواقف الإيجابية تجاه الدعوة الإسلامية.

"وعبد الله بن رواحة شاعر فارس، وصحابي جليل، وقائد من قواد معارك الإسلام، وأحد شخصيات المسلمين الفذَّة الذين دافعوا عن الدين بالسنان واللسان، والسيف والقلم، والرمح والقرطاس، فأبلى في ذلك كله بلاءً حسناً مشكوراً ونال من الأجر والثواب عند الله تعالى مالا يناله إلا المؤمنون الصابرون."[2]

---

(١) الديوان ص ٧٥ - ٧٧

(٢) عبدالله بن رواحة (ديوانه) ودراسة في سيرته وشعره، دار العلوم للطباعة والنشر – الرياض ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م : تحقيق وليد قصاب ص ٢١

وهي سمة شعراء المسلمين في هذه الفترة، فهو يقف موقفاً إيجابياً تجاه الدين، وهو لم ينتظر درهماً ولا ديناراً، إنما ينتظر الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى.

"وعبد الله في الإسلام صورة مشرقة، وصفحة ناصعة، فقد باع نفسه لله منذ أن ارتضى الإسلام ديناً، ورصد جميع الأسلحة التي كان يملكها من قول أو فعل أو عمل، لخدمة هذا الدين، والانتصار له في كل ميدان، برزت شخصية ابن رواحة في الإسلام، وأفصحت عنها جميع المواقف والغزوات، وما تعلق منها بحياته الخاصة، أو حياته العامة."(١)

وعاش ابن رواحه فترته الثانية وهي فترة عصر صدر الإسلام، فكانت مواقفه شرسة ضد المشركين، وكان له دور في المعارك الأدبية بين الإسلام والشرك.

"وكان الشعر في هذه الفترة يرسم صورة مشرقة للانطلاقة الهائلة الواسعة، التي انتزعت العربي من حيزه الضيق لتطوف به أرجاء ممتدة وبعيدة لم يستشرفها من قبل، كما أنه يرسم صوراً رائعة للفروسية العربية في ذلك الإطار الجديد الذي وضعه الإسلام لتقاليدها، وصوراً رائعة أخرى للإيمان القوي، والتصديق العميق بما وعد به المؤمنون المجاهدون."(٢)

"لقد كان لابن رواحه إذن دور في هذه المعركة الأدبية بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر، بل كانت له زاويته الخاصة التي ينظر منها إلى الأمور في مهاجاه

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧

(٢) النعمان عبد المتعال القاضي : شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٣٨٥هـ ١٩٦٠م ص ١٠

الكفار والرد على شعرائهم، وهو بذلك صاحب منهج متميز عما أخذ فيه صاحباه كعب وحسان."[1]

"وعبد الله بن رواحه يمتاز بكثرة الخيوط الإسلامية التي تداخلت في نسيج شعره فهو دائم الاستمداد من القرآن الكريم من ألفاظه وعباراته ومعانيه، وهو أيضاً دائم الاستمداد من الروح الإسلامية الجديدة التي تغلغلت في أعماق نفسه، وفي شعره نماذج كثيرة تمثل هذا التأثير الإسلامي."[2]

وإذا أردنا أن نقف أمام بعض شعره الذي وقف فيه مع الدعوة الإسلامية ودافع عنها نجد أن شعره في هذه الفترة يمثل عصر صدر الإسلام وكان شعره عبارة عن مقطوعات صغيرة، وهذا يدل على انشغاله بالجهاد، والوقوف بجوار الرسول ودعوته، ونجد صورة الإعلام الإسلامي مسيطرة عليه، بارزة وأن الأنا متضخمة عنده في الرد على المشركين والاعتزاز بعقيدته الإيمانية، ففي قصيدته التي قالها في غزوة بدر الأخيرة، في شعبان سنة أربع من الهجرة، يعير أبا سفيان الذي أخلف موعده ولم يأت إلى بدر.

نرى إبراز الصورة الإعلامية مبيناً وعد أبي سفيان الذي أخلفه، ويتهكم منه لأنه أخلف وعده مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويبين أنه يفدى الرسول بأهله وماله، وأن طاعة الرسول فيها هداية أشبه بشهاب يهدي الناس في الليل.

وهي صورة بارزة تخلو من النفاق والمبالغة، ففيها التحقير من شأن أبي سفيان، وبأنه يخلف عهده دائماً، مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهي سمة عند أهل الكفر، وهي صورة قريبة من الصورة السابقة التي ذكرها حسان بن ثابت فيقول:

---

(١) ديوان ابن رواحه ص ٨١

(٢) يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي ــ مرجع سابق ص ٢٩

وَعَدنا أَبا سُفيانَ بَدراً فَلَم نَجِد ... لِميعادِه صِدقاً وَما كانَ وافِيا
فَأُقسِمُ لَو وافَيتَنا فَلَقيتَنا ... لَأُبتَ ذَميماً وَافتَقَدتَ المَوالِيا
تَرَكنا بِهِ أَوصالَ عُتبَةَ وَابنَهُ ... وَعَمراً أَبا جَهلٍ تَرَكناهُ ثاوِيا
عَصَيتُم رَسولَ اللَهِ أُفٍّ لِدينِكُم ... وَأَمرِكُمُ السَيءِ الَّذي كانَ غاوِيا
فَإِنّي وَإِن عَنَّفتُموني لَقائِلٌ ... فِدىً لِرَسولِ اللَهِ أَهلي وَمالِيا
أَطَعناهُ لَم نَعدِلهُ فينا بِغَيرِهِ ... شِهاباً لَنا في ظُلمَةِ اللَيلِ هادِيا

هنا نرى التفاعل المباشر بين الشاعر وأبي سفيان معتمداً فيه على الاتصال المباشر باعتباره جانباً إعلامياً كبيراً، محدد المعاني والألفاظ من خلال الموقف نفسه في صورة واضحة، وذهن متيقظ.

"فالشاعر الذي قبل في غزوة بدر حصيلته لا بأس بها ولكني أرى أنه يكفي للتمثيل به على بيان أثر الإسلام في نفوس الشعراء المواكبين لهذه الغزوة.

فلوحات الشعر تفيض صور بطولة وبسالة واستماتة في الدفاع، وتحمي النفوس الأبية لبذل الروح رخيصة هينة في سبيل الدعوة، وترسم صور الجنة أمام الشهداء."(١)

ولابن رواحه نموذج أخر في معركة مؤتة سنة ثمانٍ من الهجرة عندما نزل الناس في مَعَانٍ من أرض الشام، ورأوا كثرة جيش العدو يصف الموقف وحالة المعركة وذهاب المسلمين إلى الميدان على الرغم من كثرة جند العدو، ولكن الجند مسومات، والخيل مهينة تتنفس الريح الحارة، ولم يكن للمسلمين مأرب فيها أو هدف، إنما كان هدفهم قتال العدو فيقول:

جَلَبنا الخَيلَ مِن أَجَأٍ وَفَرعٍ ... تُغَرُّ مِنَ الحَشيشِ لَها العُكومُ

(١) عبد الرحيم محمد زلط: التأثير النفسي في الشعر ودوره في عهد النبوة، دار اللواء للنشر والتوزيع ــ الرياض ط١ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م ص ١٣٦

حَذَوناها مِنَ الصَوّانِ سِبتـاً ... أَزَلَّ كَأَنَّ صَفحَتَهُ أَديمُ
أَقامَت لَيلَتَينِ عَلى مُعـانٍ ... فَأُعقِبَ بَعدَ فَترَتِها جُمـومُ
فَرُحنا وَالجِيادُ مُسَوَّمـاتٌ ... تَنَفَّسُ في مَناخِرِها السَمومُ
فَلا وَأَبي مَآبُ لَنَأتِيَنهـا ... وَإِن كانَت بِها عَرَبٌ وَرومُ
فَعَبَّأنا أَعِنَّتَها فَجـاءَت ... عَوابِسَ وَالغُبارُ لَها بَريمُ
بِذي لَجَبٍ كَأَنَّ البَيضَ فيـهِ ... إِذا بَرَزَت قَوانِسُها النُجـومُ
فَراضِيَةُ المَعيشَةِ طَلَّقَتهـا ... أَسِنَّتُها فَتَنكِحُ أَو تَئيـمُ[1]

ولابن رواحه مقطوعة أخرى يمدح فيها أبا الهيثم بن التيهان، حينما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهم أجمعين وأكرمهم، يصف مكانتهم وأنهم قوم من خير بني حواء من حيث الأصل والفرع، وأنه فارس في كل موقف من حياته في السلم والحرب فيقول:

فَلَم أَرَ كَالإِسلامِ عِزّاً لِأُمَّـةٍ ... وَلا مِثلَ أَضيافِ الأَراشِيِّ مَعشَراً
نَبِيٌّ وَصِدّيقٌ وَفاروقُ أُمَّـةٍ ... وَخَيرُ بَني حَوّاءَ فَرعاً وَعُنصُرا
فَوافَوا لِميقاتٍ وَقَدرِ قَضِيَّـةٍ ... وَكانَ قَضـاءُ اللَهِ قَدراً مُقَدَّرا
إِلى رَجُلٍ نَجدٍ يُباري بِجـودِهِ ... شُموسَ الضُحى جوداً وَمَجداً وَمَفخَرا
وَفارِسِ خَلقِ اللَهِ في كُلِّ غارَةٍ ... إِذا لَبِسَ القَومُ الحَديـدَ المُسَمَّرا
فَفَدّى وَحَيّا ثُمَّ أَدنى قِراهُمُ ... فَلَم يَقرِهِم إِلّا سَميناً مُتَمَّـرا[2]

وهذا نموذج أخر من مقطوعات ابن رواحه يمدح فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويهجو بعض أبناء قريش من عمر بن مخزوم وغيرهم ، يصف حالة الرسول وأنه يعفو عنه كل شيء،وأن الله يعلم ما قصَّر فيه من وصف لسماته، ومن

(١) الديوان ص ١٤٩ ـ ١٥٠
(٢) الديوان ص ١٥٦ – ١٥٧

يحرم شفاعته يوم القيامة فقد قصَّر في ذلك، وأن النبي من أصل كريم، وهو خير البرية، ومفضل على سائرهم فيقول:

إِنّي تَفَرَّستُ فيكَ الخَيرَ أَعرِفُهُ وَاللَهُ يَعلَمُ أَن ما خانَني البَصَرُ
أَنتَ النَبِيُّ وَمَن يُحرَم شَفاعَتَهُ يَومَ الحِسابِ فَقَد أَزرى بِهِ القَدَرُ
فَثَبَّتَ اللَهُ ما آتاكَ مِن حَسَنٍ تَثبيتَ موسى وَنَصراً كَالَّذي نُصِروا
يا آلَ هاشِمَ إِنَّ اللَهَ فَضَّلَكُم عَلى البَرِيَّةِ فَضلاً ما لَهُ غِيَرُ
وَلَو سَأَلتَ أَوِ استَنصَرتَ بَعضَهُمُ في جُلِّ أَمرِكَ ما آوَوا وَلا نَصَروا
فَخَبِّروني أَثمانَ العَباءِ مَتى كُنتُم بَطاريقَ أَو دانَت لَكُم مُضَرُ
نُجالِدُ الناسَ عَن عُرضٍ فَنَأسِرُهُم فينا النَبِيُّ وَفينا تَنزِلُ السُوَرُ
وَقَد عَلِمتُم بِأَنّا لَيسَ يَغلِبُنا حَيٌّ مِنَ الناسِ إِن عَزّوا وَإِن كَثُروا

من خلال النماذج الثلاثة التي أوردناها عن ابن رواحه يتضح لنا الكثير من الصور الإعلامية ذات الصلة بالعصر الإسلامي، ففيها صور واقعية وهي هجاؤه لأبي سفيان رأس الشرك آنذاك ووصف حالته والتحقير من شأنه، وشأن أبي جهل وهي صورة فيها اعتماد على الفطرة وطبيعة الحياة بما تحمله في هذه الفترة من صور بسيطة، وهذه الصورة لم يتعلمها الإنسان عن طريق دراسة، ولم تكن لها قواعد ثابتة أو راسخة، أو أسس أو قوانين لكنها صورة إسلامية وضعها الإسلام فيها أساليب الدعوة فكان الإعلام كفن له دوره الخاص في هذا العصر،وكان متصلاً بوسائله على الرغم من شكله البدائي.

فالرد على المشركين والتحقير من شأنهم صورة إعلامية.

"فالشاعر الهجاء لديه قسط وافر من الثورة، ونصيب كبير من الغضب وهذه الثورة هي التي تحول موهبة الشاعر، وتشعل حميته، وهي ليست ثورة سلبية تقوم على الهدم، ولكنها في شعر الهجاء ثورة إيجابية تقوض البناء، تنشد التقويم غالباً.

ولما كان شعر الهجاء مرتبطاً بالثورة فقط، امتلأ بالصور الحادة والملامح العنيفة، ولم يفقد حرارة الإحساس، وتوهج الانفعال."[١]

فابن رواحه في هذين النموذجين يهجو أهل الشرك في صورة قاسية ويمدح الرسول ويسله من وسط هؤلاء، وهي طبيعة للمسلم الحق الذي يدافع عن عقيدة صحيحة، وإيمان صادق، أما بالنسبة للمدح فكان للرسول ودعوته، وكان ابن رواحه صادقاً في ذلك فهو شاعر مؤمن بالدين، فرأينا الصورة صادقة.

"ولقد أكد الإعلام الإسلامي على ضرورة توافر الصفات المثلى في الدعاة ورجال الإعلام لكي يكونوا موضع تصديق، وذلك أن هؤلاء هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم في مهمته الإعلامية، وليس من شك في أن ظهور أثر الصدق في القائم بالإعلام الإسلامي يؤثر في الجمهور المتلقي ويحمله ذلك على قبول رسالته الإعلامية واحترامها."[٢]

هذه هي الصورة الإعلامية الشعرية التي وقفنا أمامها عند ابن رواحه، ففيها الوقوف بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة الإسلامية، ففيها جوانب المدح والهجاء، وصورة الإعلام فيها واضحة، ومتوائمة مع ظروف العصر الإسلامي بما فيه من صدق ، وثبات ورحمة، وعفو وتواضع، وكان الهدف من ذلك هو نشر الدعوة الإسلامية بكل الوسائل، وهي صورة واضحة، بعيدة كل البعد عن النفاق والرياء، فلم

ينتظر الشاعر درهماً ولا ديناراً، إنما كان هدفه الفوز بالآخرة ونعيمها.

---

(١) عباس بيومي عجلان: الشعر الجاهلي صوره وأساليبه الفنية ــ مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ــ الإسكندرية ط١ ١٩٨٥ ص ٣٨١- ٣٨٢

(٢) أمينة الصاوي ، عبدالعزيز شرف ــ نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية ــ مرجع سابق ص ٢٠٦- ٢٠٧

وشعر ابن رواحه يحتوى على الالتزام الإسلامي وكان مثلاً حياً ونموذجاً عاليا للشعر في هذه الفترة نتيجة عمق الإسلام عنده، لذا كان كل شعره الإسلامي يحتوى على القوة والعصبية الإسلامية فيه اقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية.

(٣) كعب بن مالك

وهو من الشعراء المتميزين في هذه الفترة، أسلم مبكراً، فكان من الأنصار في المدينة، وكان من المجاهدين فحارب أعداء الإسلام، وجاهد بسيفه واشترك مع الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع المشاهد والغزوات.

"لم يتخذ كعب من الشعر صناعة يمتهنها، أو سبيلاً لكسب العيش، بل كان ما وصل إلينا مما نظمه كان في أغراض نفسه المؤمنة، وملابسات حياته المسلمة، فصدرت قصائده صدوراً طبيعياً، كما يصدر الضياء عن الشمس ، والعطر عن الزهر."(١)

"كان كعب مؤمناً قوي الإيمان، تقياً شديد التقى، وكان أثيراً عند رسول الله، يحبه ويدعو له بالخير، ويشجعه على جيد الشعر.

وكانت صلة كعب بالرسول قوية، فهو قريب منه يسمع الحديث، فيحفظه فيحدث به، فهو لذلك معدود في رواة الحديث."(٢)

إن الناظر إلى ديوان كعب بن مالك والمتصفح له، يجد أن كافة موضوعاته الشعرية شأنها شأن أي شاعر آخر سواء كان جاهلياً أم إسلامياً، فهي تحوي على الفخر والمديح والهجاء والرثاء والنقائض، ولكن موضوعاته الإسلامية من حيث هذه الأغراض فيها جوانب وصور إيمانية، ففيها مواقف وغزوات الرسول، وفيها الرد على المشركين وفيها إبراز مكانة الإسلام والمسلمين.

---

(١) كعب بن مالك: ديوانه ، مطبعة دار المعارف ــ بغداد ط١، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م ص ٨١

(٢) أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ج ١٥ ص ٢٦ – ٢٨ ط الهيئة د.ت. مصر

وفي كل هذه الأغراض نجد الإعلام بارزاً عند الشاعر في صور واضحة، يسيطر عليها الجانب الإسلامي وقرب الشاعر من الرسول وميله إلى الفطرة ، ومخاطبته العقول بالدليل المقنع، لأن الإسلام يقدر العقل المدرك وهو أساس الإعلام الإسلامي، وكان شعره قريباً من المعارك والغزوات، وخاصة بدر وأحد والخندق، ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها.

ففي يوم بدر يرسم عدة لوحات مختلفة، وكل لوحة تختلف عن الأخرى، ففيها نرى جوانب متعددة ذات إيمان وثقة بالله، وفيها الإعلام بارزاً.

ففي لوحته الأولى يحقر من شأن بني لؤي ويبكيهم، لما أصابهم من الخزي والعار يوم الهزيمة النكراء التي حاقت بهم وجعلتهم يفرون من المسلمين، وهذا الخطاب موجه لأبي سفيان بن حرب رأس الشرك في هذه الفترة، وكانت النهاية النصر للمسلمين لأنهم أصحاب عقيدة ومذهب وأن الله تعالي يؤيدهم بنصره فيقول:

لَعَمْرُ أبيكُما يا ابْنَيْ لُؤَيٍّ ... على زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وانْتِخاءِ
لما حامَتْ فَوارِسُكُمْ بِبَدْرٍ ... ولا صَبَرُوا بِهِ عِنْدَ اللِّقاءِ
وَرَدْناهُ بِنُورِ اللهِ يَجْلُو ... دُجَى الظَّلْماءِ عَنَّا والغطاءِ
رسولُ اللهِ يُقْدِمُنا بأَمْرٍ ... مِنَ امْرِ اللهِ أُحْكِمَ بالقَضاءِ
فَما ظَفِرَتْ فوارِسُكُمْ بِبَدْرٍ ... وما رَجَعُوا إليكُمْ بالسَّواءِ
فلا تَعْجَلْ أبا سُفْيانَ وارْقُبْ ... جِيادَ اللهِ تَطْلُعُ مِنْ كَداءِ
بِنَصْرِ اللهِ رُوحُ القُدْسِ فيها ... وميكالٌ فَيا طِيبَ الملاءِ

وهناك لوحة ثانية عن غزوة بدر يستنكر فيها عما حدث للمشركين في هذه الغزوة، ويصف فيها جنود المسلمين كالأسود، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كالشهاب يحجب كل الشهب وأن الحق والعدل منطقه، وهي سيرته وعقيدته التي

جاء بها ونرى تأثر ابن مالك بالقرآن الكريم، وهي سمة غالبة على شعراء هذا العصر بصفة عامة وعلى زميليه بصفة خاصة.

"فكان الرسول هداية أول الإسلام لمن اتبعه، وهداية على طريق الإيمان لمن صدقه، وهداية في المعركة لكل من أطاعه، والويل لمن كذبه في خطوة من هذه المراحل وكان أتباعه من أهم عوامل النصر، فإنه يتحدث بالحق وما ينطق عن الهوى ويؤمن حق اليقين بأن الله يدافع عن الذين آمنوا، وأن الله يؤيد بنصره من يشاء من عباده المخلصين الطائعين، فهم جميعاً من حزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون."(١)

وهو صاحب نزعة دينية وخلقية، فيها نرى تأثره بذلك فيقول:

سَائِلْ قريشاً غداةَ السَّفْحِ مِنْ أُحُدِ ... ماذا لَقِينا وما لاقوا من الهَرَبِ
كنّا الأُسُودَ وكانوا النُّمرَ إذ زَحَفُوا ... ما إنْ نراقِبُ مِنْ آلٍ ولا نَسَبِ
فَكَمْ تَرَكْنا بها مِنْ سَيِّدٍ بَطَلٍ ... حامي الذِمارِ كريمِ الجَدّ والحَسَبِ
فِينا الرسُولُ شِهابٌ ثُمَّ يَتْبَعُهُ ... نُورٌ مُضيءٌ لَهُ فَضْلٌ على الشُّهُبِ
الحَقُّ مَنْطِقُهُ والعَدْل سِيرَتُهُ ... فَمَنْ يُجِبْهُ إليه يَنْجُ مِنْ تَبَبِ
نَجْدُ المقدَّمِ ماضي الهمِّ مُعْتَزِمٌ ... حينَ القلوبُ على رجفٍ منَ الرُّعُبِ
يَمْضي ويذْمرُنَا عَنْ غيرِ مَعْصيةٍ ... كأَنَّه البَدْرُ لم يُطْبَعْ على الكَذِبِ
بَدَا لنا فاتَّبَعْناهُ نُصَدِّقُهُ ... وَكَذَّبه فكُنَّاأَسْعَدَ العَرَبِ
جالُوا وجُلْنا فَمَا فَاؤوا وما رَجَعوا ... ونَحْنُ نَثْفُنُهُمْ لَمْ نَأْلُ في الطلبِ
ليسَا سواءً وشَتَّى بين أمرِهمَا ... حِزْبُ الإلهِ وأهْلُ الشِّركِ والنُّصبِ(٢)

---

(١) عبد الرحيم زلط: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٥٠

(٢) الديوان ص ١٧٤ – ١٧٥

وهناك لوحة أخرى وهي غزوة أحد يصف حالة قريش بأنها تفخر بما لم تعرف، فهؤلاء الشهداء فازوا بالجنة، وتركوا من خلفهم أسوداً، وهذه الأسود تقاتل عن دينها وعن رسولها الكريم فيقول:

أَلاَ ابْلِغْ قُرَيْشاً على نَأيِهَا	اتفخَرُ منَّا بما لَمْ تَلِي
فَخَرْتُمْ بِقَتْلَى أَصَابَتْهُمُ	فَوَاضِلُ مِنْ نِعَمِ المُفضِلِ
فحلُّوا جِنَاناً وأبقُوا لَكُمْ	أُسُوداً تُحَامِي عَنِ الأَشْبُلِ
تُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا وَسْطَهَا	نَبِيٌّ عَنِ الحقِّ لَمْ يَنكُلِ
رَمَتْهُ مَعَدٌّ بِعَوْرِ الكَلاَمِ	ونَبْلِ العَدَاوَةِ لا تَأْتَلِي[1]

ولابن رواحه لوحة ثالثة يوم الخندق، وهي لوحة رائعة يرد فيها على قريش مبيناً فيها الاستعداد النفسي للمعركة والشورى ومكانة الإسلام والمسلمين، وحالتهم النفسية،ومواقفهم، وأنهم متوكلون على الله تعالى، وأتوا من كل صوب وحدب، من كل قرية وبادية، وهي صورة إعلامية يعتريها الإيمان الصادق فيقول:

ألا أَبْلِغْ قُرَيشاً أَنَّ سَلْعاً	وما بينَ العُرَيْضِ إلى الصِّمادِ
نَواضِحُ في الحروبِ مُدرباتٌ	وخُوصٌ ثُقِبَتْ مِنْ عَهْدِ عادِ
رَواكِدُ يَزْخَرُ المُرَّارُ فيها	فَلَيْسَتْ بالجِمامِ ولا الثِّمادِ
كأَنَّ الغابَ والبَرْدِيَّ فيها	أجشُّ إذا تَبَقَّعَ للحَصَادِ
ولَم نَجْعَلْ تجارَتَنا اشتِرَاءَ الْـ	ـحَمِيرِ لأَرْضِ دَوْسٍ أو مرادِ
بلادٌ لَمْ تُثَرْ إلاّ لكَيْما	نُجالِدُ أن نَشَطْتُمْ للجِلادِ
أَثَرْنا سِكَّةَ الأنباطِ فيها	فلم تَرَ مِثْلَها جَلَهاتِ وادِ
قَصَرْنا كلَّ ذي حُضْرٍ وطُلٍّ	على الغاياتِ مُقْتَدِرٍ جَوادِ
أَجِيبُونا إلى ما نَجْتَدِيكُمْ	مِنَ القولِ المُبَيَّنِ والسَّدادِ

(١) الديوان ص ٢٥٤

وإلاَّ فاصْبِرُوا لجلادِ يَوْمٍ ... لَكُمْ منَّا إلى شَطْرِ المَدَادِ
نُصَبِّحُكُمْ بكُلِّ أخي حُرُوبٍ ... وكُلِّ مُطَهَّمٍ سَلِسِ القِيَادِ
وكلِّ طِمِرَّةٍ خَفِقٍ حَشَاهَا ... تَذِفُّ ذَفِيفَ صَفْرَاءِ الجرادِ
وكُلِّ مُقَلَّصِ الآرابِ نَهْدٍ ... تَمِيمِ الخَلْقِ مِنْ أُخَرٍ وهادي
خُيولٌ لا تُضاعُ إذا أُضيعَتْ ... خُيولُ النَّاسِ في السَّنَةِ الجَمَادِ
يُنازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِياتٍ ... إذا نادَى إلى الفزعِ المُنادي
إذا قالَتْ لنا النُّذْرُ اسْتَعِدُّوا ... تَوَكَّلْنا على رَبِّ العِبَادِ
وَقُلنا لَنْ يُفَرِّجَ ما لَقِينا ... سِوَى ضَرْبِ القوانِسِ والجِهادِ
فلَمْ تَرَ عُصْبَةً فِيمَنْ لَقِينا ... مِنَ الأقوامِ من قَارٍ وَبَادي
أَشَدَّ بَسَالةً منّا إذا ما ... أَرَدْنَاهُ وأَلْيَنَ فِي الوِدادِ
إذا ما نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيها ... جِيادَ الجُدلِ في الأُرَبِ الشِّدادِ
قَذَفْنا في السَّوَابغِ كلَّ صَقْرٍ ... كريمٍ غيرِ مُعْتَلِثِ الزِّنَادِ
أَشَمَّ كأَنَّه أَسَدٌ عَبُوسٌ ... غَداةَ نَدَى ببَطنِ الجزعِ غادي
يُغَشِّي هامَةَ البَطَلِ المُذَكَّي ... صَبِيَّ السَّيفِ مُسْتَرْخَى النِّجادِ
لنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهمَّ إنَّا ... بكَفِّكَ فاهْدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ

وهنا نرى الصورة الإعلامية الصادقة التي يغطي الإيمان معظم جوانبها، ففيها دوره البارز تجاه المشركين، ويبين فيها أن المسلمين أصحاب كياسة،وبعد نظر، وأنهم على ثقة بربهم.

وهذه الصورة نابعة عن عقيدة صادقة وعاطفة جياشة بالنفس والإيمان، وطبع أبياته بالطابع الإسلامي الخاص وكان متزناً في كل ما قاله من شعر وبرزت الروح الإسلامية،وسيطرت النفس الإسلامية عليه في حياته وأخلاقه.

من خلال هذه اللوحات التي وقفنا أمامها عند الشاعر نجد صورة الإعلام الإسلامي بارزة مسيطرة على الشاعر ففيها وصف المعارك التي قامت بين المشركين والمسلمين ونرى دقته في هذا الوصف بما فيه من التحام وإبراز لكلمة الحق، وهذه الصورة فاقت ما وصفه الجاهليون في معاركهم فهو بيَّن الحالة النفسية للمسلمين لأنهم على ثقة بربهم، ووصفهم بالأسود الضارية، ويبرز أيضاً تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه القصائد تؤدي دوراً فاعلاً في تهيئة المتلقي من الجمهور وتستحوذ على الانتباه وفيها أيضاً توضيح الجانب الشخصي للشاعر وإبراز إيمانه ومكانته، وهي أيضاً أشبه بالمناظرة بينه وبين المشركين.

"وهي تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته."(١)

وقد وفق الشاعر في عرضه لهذه اللوحات، فهو شاعر ، ومقاتل وضح من خلال هذه الصورة الإعلامية الحرب النفسية ضد العدو، وهي بالإضافة إلى مكانته الشعرية كان مقاتلاً، فجمع بين الشعر والبطولة، فكان صادقاً فيما قال، وهذه المواقف كانت بمثابة المهارات الإعلامية ، والتي كان لها دور في التعامل مع الدين في هذه الفترة، وكانت ذات مضمون فطري له الدور في عملية الممارسة الإعلامية، وكانت نتائجها إيجابية في ذلك وهي جوانب كانت ضد التيار الذي اتبعه المشركون، فكانت جوانب إيجابية وفق المسلمون فيها، لأن الإسلام كان نمطاً جديداً

---

(١) محي الدين عبدا لحليم : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته المعملية ــ مصر مكتبة الخانجي ــ ١٩٧٩ ص ١٤٠

في حياة العرب وهي التغير الذي ساد في هذه الفترة لأنها كانت قريبة من الجاهلية وقد اتسع أفق الشعراء واتسعت أفكارهم وتجددت معانيهم في صدر الإسلام نتيجة الثقافة الدينية الواسعة وإتباعهم كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

الثوابت والمتغيرات

هناك ثوابت ومتغيرات وردت في البحث عند الشعراء الذين تم الحديث عنهم في الفترتين، وهي بمثابة اتفاق في جوانب واختلاف في أخرى.

بالنسبة للاتفاق في الفترة الأولى وهي فترة العصر الجاهلي نجد فيها تشابهاً عند الشعراء من حيث الموضوع وخاصة في المدح والفخر والوصف،وقد برزت السمة الإعلامية في ذلك في كل ما قالوه من شعر، أما عن المتغيرات فجاءت عند هؤلاء الشعراء مختلفة باختلاف الفكرة والرأي، فالأول وهو عمرو ابن كلثوم وصف قومه، وزاد فخاره بهم ومدحهم،وبين مكانتهم بصورة إعلامية عالية، وكانت هذه الصورة جماعية أما عنترة بن شداد فكانت الموضوعات عنده من فخر ومدح ووصف، كانت موضوعات فردية لا جماعية عكس عمرو بن كلثوم، أما زهير بن أبي سلمي فجاءت الصورة إيجابية عنده مقصورة على الحرب، ولكن بصورة مختلفة فيها تنفير من الحرب وهي صورة فيها عموم وشمول وكان حديثه عن السلم فيه إخلاص وفيه واقع .

إذاً فهؤلاء الشعراء كانت ثوابتهم في الموضوع، لكن كلاً منهم اختلف عن الآخر من حيث ما يدور بداخل الموضوع نفسه، لأن للبيئة الاجتماعية أثراً في هذه الجوانب التي رأيناها عند هؤلاء الشعراء الثلاثة، فالأول وهو عمرو بن كلثوم كان قبلياً تميز بالشجاعة والقوة والبلاء الحسن للقوم فكان حديثه يأتي على لسان القوم لا على لسان الفرد، فكانت الصورة الإعلامية جماعية لا فردية، أما الثاني وهو عنترة بن شداد فكانت ظروفه الاجتماعية أقل من سابقه، فكان يتطلع إلى الحرية

والاعتراف به والحب، فجاءت الصورة الإعلامية عنده مقترنة بهذه الظروف التي مر بها فكان الحديث عن نفسه لا عن القوم من أجل أن تتحقق له هذه الأهداف، فتحدث عن قوته وشجاعته وفروسيته لا قوة وشجاعة وفروسية القوم، وكان ذلك من أجل تحقيق الغرض الشخصي، أما الثالث وهو زهير بن أبي سلمي، فجاءت الصورة الإعلامية شاملة للمدح والوصف، فكانت صورة عالية الانتشار حققت هدفها، فمدح السيدين هرم بن سنان والحارث بن عوف ما قاما به من تضحيات، هي سمة للمستقبل فيها عموم وشمول،وفيها غرس للقيم والمبادئ القيمة في المجتمع العربي، أما سمة الوصف فكانت للحرب وويلاتها، لما تخلفه من دمار وهلاك، وهي أيضاً صورة عامة شاملة.

إذاً الاتفاق في الموضوع، والاختلاف في داخل الموضوع نفسه، وفي كل نرى الصورة الإعلامية متوائمة مع كل شاعر وهي صورة متلازمة مع ظروف الحياة في العصر الجاهلي.

أما الفترة الثانية وهي فترة عصر صدر الإسلام، فكانت الثوابت مسيطرة على الموضوع، لأن هدف الشعراء الثلاثة كان هدفاً دينياً فيه التطلع إلى نشر الدعوة الإسلامية، والوقوف بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم،فكان الموضوع واحداً والهدف واحداً، فيه وقوف أمام وجوه المشركين، ومعايرة بكفرهم، وفخر بالإيمان والرسول، وأصحابه، وكان هجاءً شديداً بأسلوب يختلف عن أسلوب السابقين، وكان أشبه بالنقائض، ففيه التحقير من شأن المشركين، وكان هذا الأسلوب يؤثر في المشركين أكثر من الطعن والضرب، فيه أيضاً صدق من الشعراء عند وصفهم المواقع والغزوات، وكان الإسلام مسيطراً عليهم، فكان أسلوب القرآن الكريم بارزاً في أشعارهم، لذا وجدنا الشعارات الإسلامية يلمسها كل من يقف أمام أشعارهم، فيرى الجانب السياسي والاجتماعي في كل ذلك نرى

الصورة الإعلامية بارزة عند هؤلاء الشعراء، وكانت صورة إسلامية متأثرة بالقرآن الكريم والسنة النبوية فيها إبراز حجم المشركين بالدليل العقلي وبالمنطق، وفيه تحقير ورد على أباطيلهم وضعفهم.

الألفاظ والتراكيب

بالنسبة للألفاظ والتراكيب جاءت متوائمة مع كل فترة من الفترتين، فالأولى وهي الفترة الجاهلية، جاءت الألفاظ قوية فيها رعب وخوف ومبالغة أحياناً، ودليل ذلك أن العربي في هذه الفترة لم يجد صعوبة في التعامل مع لغته العربية لكي يعبر بها عن رسالته، وأفكاره، فكانت لغة علم وثقافة مارسها العربي منذ الصغر، درسها ودرس فنونها المتعددة فكانت الوسيلة الوحيدة التي ينطلق منها ويتحدث بها، وكانت القوة مسيطرة على هؤلاء الشعراء، وهي قوة مستوحاة من البيئة التي عاشوا فيها، وكان الشاعر أيضاً في هذه الفترة يحرص على التأثير في وجدان المتلقي.

وكان ذلك من خلال القصائد الشعرية التي تركوها لنا، فمثلاً، تضمنت الألفاظ عند عمرو بن كلثوم القوة والتهديد والوعيد، والرهبة والخوف للخصم والاستهزاء، كما حوت على الكثير من الكنايات، وهي صورة إعلامية جماعية، لا فردية، رأينا فيها صورة القوم لا صورة الفرد.

أما الألفاظ عند عنترة بن شداد ففيها القوة أيضاً وهي أقل من سابقتها لأن الشاعر تحدث عن نفسه لا عن القوم، فبرزت شجاعته وقوته، فكانت صورة فردية.

أما الألفاظ والتراكيب عند زهير بن أبي سلمي فقد حوت على الحس والمادة و النحو من القيود الجاهلية، فيها السلم والإيمان والحكمة، والأخلاق والمعروف، والحساب والعقاب، والمثل العليا، والمعروف والأمن وكانت خالية تماماً من التعقيد اللفظي، وكانت أيضاً قريبة من الواقع.

إذاً في هذه الفترة تنوعت الصور الإعلامية من جانب الألفاظ والتراكيب فكان الاختلاف فيها وفق طبيعة كل شاعر، ووفق بيئته، وشخصيته وظروفه، كل منهم كرس جهده في أشعاره مبرزاً مكانته وسماته التي فطر عليها.

أما الفترة الثانية، وهي فترة صدر الإسلام، فجاءت الألفاظ فيها متوائمة عند الشعراء الثلاثة وظروف الحياة الإسلامية، كما حوت الألفاظ أيضاً على الإشارات التي تشير إلى مضامين جديدة في العبادة كلفظ الجلالة وصفاته، وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ومناهل الفكر القرآني، والمعنى الرباني، وحوت الألفاظ أيضاً على توقيت المعاني وتسلسل الأفكار وترابطها.

وكان الشاعر يريد إن يظهر أحقية الله بالعبادة وسبل الناس إلى عبادته في عاطفة تتسم بالنبل والذكاء، الدقة في حسن اختيار هذه الألفاظ، وبمعاني إسلامية تتمثل في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، ونزول الروح اليه من عند الله سبحانه وتعالى، وكثيراً ما يميل الجاهل إلى درجة المبالغة عند تهديد المشركين وإبراز شجاعة المسلمين مما جعل المشركين في حالة عجز شديد عن الصمود أمام هؤلاء الشعراء الذين تسلحوا بالعقيدة والصدق وكانت الصورة الإعلامية عند هؤلاء الشعراء صادقة لأنها نابعة من نفس مسلمة، وفياضة بعمر الإيمان قلبها.

النتائج

خلال ما سبق يتضح ما يلي:

كان الشاعر الجاهلي في صوره الإعلامية يعتمد اعتماداً كبيراً على التاريخ والإنسان، فنراه اشبه بالمؤرخ للقوم، فيذكر الأيام السابقة، ويلبس القبيلة ونفسه ثوب الفخار، أما الأعداء فكان يلبسهم ثوب الخزي والعار، أما الإعلام في هذه الفترة فملتصق تماماً بالقبيلة، وكان موجهاً إلى حالها وكان يشيد بأعمالهم ومواقفهم.

ويدخل الإعلام في كل موضوعات الشعر من مدح ورثاء وهجاء ووصف وفخر، وكذلك في الأعمال الأخلاقية، فنجد فيه عرضاً للصفات الحسنة والجميلة، وقد يخلو من الفحش والفجور، وهو ما تميز به الشعراء الذين كانت الجوانب الإعلامية بارزة عندهم.

كان الإعلام في هذه الفترة يحتوى على المحافظة على التقاليد، والمثالية والذوق الفني الرفيع على الرغم من احتوائه على التقاليد والأعراف التي سيطرت على المجتمع في هذه الفترة.

ساعد على انتشار الإعلام في هذه الفترة الكثير من الجوانب الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت تهز وجدان الشعراء والمجتمع، فكانت الثقافة تنتشر في تسلسل واضح، فالإسلام جاء بعد فترة شارك العرب في نشر الإعلام بأنفسهم، وبوسائلهم البدائية، وبرموز وطرق متعددة يفهمونها هم،مثل دق طبول الحرب والسعي إلى الصلح..

يمثل الإعلام بالانتشار السريع في هذه الفترة بالرغم من عدم وجود وسائل كما هي عليه الآن، إلا أن الوسائل البدائية كانت تؤدي الغرض، فكان الخبر ينتشر في الأماكن المتباعدة في الجزيرة العربية عن طريق الشعر.

إن الخطاب الإعلامي في هذه الفترة يفصح عن العديد من التصورات التي تحيط بالمجتمع، وهي صورة تقليدية وجوانب شكلية ففيها الحرب والأسواق والغزوات، والفتوحات الإسلامية، فكانت ثورة اتصالية هائلة من وجهة نظرهم يفهمها القاصي والداني آنذاك، فيها تركيز وجدية طغت عليها ظروف الحياة الجاهلية والإسلامية.

ارتبط الشعر ارتباطاً وثيقاً بالإعلام في هذه الفترة وفق طبيعة المجتمع والبيئة، وكانت صور الإعلام منعكسة عند الشعراء من حيث المكانة السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها.

تخلو صور الإعلام في هذه الفترة من الخلق الابتكاري لأنها تعتمد في الأغلب على الواقع، وذلك لاعتمادها على الهجاء الشخصي في العديد من صوره ودرجاته، ولما فيها من عنصر الارتجال وحضور البديهة، وسرعة الرد، وتصيد الأخطاء، حيث النقاش الحاد، فمعظم جوانبه ترجع إلى تصوير القيم الاجتماعية والأخلاق في صراحة ووضوح.

وقد رأي البحث أن الغضب والحماسة يختلطان ويتداخلان مع الإعلام لدرجة إننا صعب علينا فصل احدهما عن الآخر فالشاعر حينما يظهر جوانب الإعلام يبرز الجانب القوي عنده، والجانب الضعيف عند الخصم، فيصور القوم مفتخراً بهم ناقماً على العدو وفي حماسة وغضب وقد حقق الإعلام في العصر الإسلامي التعادلية بين الأفراد والجماعات، وجاءت صوره صادقة مع الدعوة وبصورة متتابعة، وكانت صوره تقوم على الإتصال الحضاري والفكري بين المجتمعات، مع إبراز الفطرة الصحيحة، وكانت تعتمد على الصراحة والوضوح والدقة، والواقعية،

وكان أمراً طبيعياً أن تكون هناك علاقة بين الشعر والإعلام في هذه الفترة لارتباط الشعر ارتباطاً وثيقاً بالبيئة، فكانت علاقة قوية و أداة إعلامية ناجحة

يسيطر عليها الصدق والإيمان، وخاصة في عصر صدر الإسلام لسيطرة المعاني الإسلامية على الشعر حتى أصبح الشعر الأداة الثالثة حقاً في نشر الدعوة الإسلامية بعد القرآن والسنة وهذا ما لمسناه على ألسنة الشعراء.

المصادر والمراجع

أولا المصادر

- أبو العباس ثعلب ــ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ــ دار الفكر المعاصر للتوزيع والنشر ــ دمشق ط١ ١٩٨١ ــ تحقيق فخر الدين قباوه.
- أبو الفرج الأصفهاني ــ علي بن الحسين الأموي ت ٣٥٦ : كتاب الأغاني ط الهيئة مصر د. ت.
- أبو علي الحسين بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ــ دار الجيل بيروت ط١ ١٤٠١هـ ١٩٨١م تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد
- أحمد بن الأمين الشنقيطي : شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ــ دار الكتب العلمية ــ دمشق د.ت.
- حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت ــ دار المعارف المصرية د.ت. تحقيق د. سيد حنفي.
- الخطيب التبريزى : شرح القصائد العشر ــ دار الأفاق الجديدة بيروت لبنان ــ ط٤ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م تحقيق فخر الدين قباوه.
- عبد الله بن رواحة: ديوان عبد الله بن رواحة، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ط١ ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨١م تحقيق وليد قصاب.
- عمرو بن كلثوم : ديوان عمرو بن كلثوم ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ط١ ــ ١٤١١هـ ١٩٩١م تحقيق وجمع أميل يعقوب.
- عنترة بن شداد : ديوان عنترة بن شداد ــ تحقيق وشرح عبد المنعم عبد اللطيف ــ تقديم ابراهيم الابياري ــ ط١ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- كعب بن مالك الأنصاري : ديوان كعب بن مالك الأنصاري ــ مطبعة المعارف بغداد ط١ ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م تحقيق سامي العاني.

- محمد بن أبي الخطاب القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، دار القلم دمشق ط١ ١٩٨٦ ، تحقيق محمد علي الهاشمي.
- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ أدب اللغة العربية ــ ج٣ ــ دار الكتاب العربي بيروت ــ لبنان ــ ط٢ ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

ثانياً المراجع

آمنة الصاوي ، عبد العزيز شرف ــ نظرية الإعلام في الدعوة الإسلامية ، دار مصر للطباعة ــ مصر ــ د.ت.

إبراهيم عبد الرحمن محمد ــ الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية والموضوعية ــ دار نوبار للطباعة والنشر ــ مصر ط١ ٢٠٠٠.

أحمد سويلم : الإعلام الشعري في التراث العربي ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ مصر ١٩٩٧.

إنريك أندرسون إمبرت ــ مناهج النقد الأدبي ، دار المعارف ، مصر ط ٢ ،١٩٩٢م ــ ترجمة أ.د. الطاهر أحمد مكي.

جورج غريب: الشعر الملحمي ، تاريخه وأعلامه ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان د.ت.

زكريا عبد الرحمن صيام: الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، دار النصر للطباعة الإسلامية ، د.ت.

سامي مكي العاتي: الإسلام والشعر ــ مطبعة حكومة الكويت ــ شعبان ، رمضان ١٤٠٣ هـ ــ يونية ــ جزيران ١٩٨٣م سلسلة عالم المعرفة ٦٦

السيدعبدالعزيز سالم: دراسات في تاريخ الشعر قبل الإسلام، الأمل للطباعة والنشر ــ مصر ط٢ ٢٠٠٠.

شوقي ضيف: البحث الأدبي طبيعته ومناهجه، أصوله، مصادره ــ دار المعارف مصر ــ ط٦ د.ت.

العصر الإسلامي : دار المعارف ط ١١ د.ت.

العصر الجاهلي: دار المعارف مصر ط ٣ د.ت.

الفن ومذاهبه في الشعر العربي ــ دار المعارف مصر د.ت.

عادل جاسم البياتي: الشعر في حرب داحس والغبراء، مطبعة الأدب في النجف الأشرف، بغداد، ١٩٧٤.

عباس بيومي عجلان: الشعر الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية ط١ ١٩٨٥.

عبدالحميد سند الجندي: زهير بن أبي سلمي شاعر السلم في الجاهلية:المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د.ت. مصر.

عبد الرحيم محمود زلط: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

عبد العزيز شرف ، محمد عبدالمنعم خفاجى: التفسير الإعلامي للأدب، دار الفكر العربي، مصر، ط١، ١٩٨٠م.

عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، مصر ط٢، ١٩٨٧.

عبد الله التطاوي: حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، دار غريب للطباعة والنشر مصر، د.ت.

عبد الله خلف: شعر المعلقات: دراسة تحليلية نقدية ، المكتب العربي للطباعة ، اسكندرية ط١،د.ت.

علي الجندي، شعر الحرب، دار الفكر العربي، مصر د.ت.

عمر الطيب الساسي: دراسات في الأدب العربي على مر العصور ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، جدة السعودية د.ت.

فايق فهيم: الإعلام المعاصر قضايا وآراء ، دار العلم للطباعة والنشر، ط١، مصر، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

فتحية محمود فرج العقدة/ الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ط١ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

فؤاد إفرام البستاني: عمرو بن كلثوم : الحارث بن حلزة: المعلقتان درس ومنتخبات، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩٢٩.

محمد أبو الأنوار: الشعر الجاهلي،مادته الفكرية،وطبيعته الفنية،مطبعة قاصد خير، مصر،د.ت.

محمد بن سعد بن حسين: من شعراء الإسلام ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

محمد عبد الواحد حجازي: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، دار الوفاء للطباعة النشر، الإسكندرية د.ت.

محمد عيد الصياصنة، الشعر في رحاب السيرة ، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

محمد محمد حسين : الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ط٣/ ١٣٨٩هـ ١٩٧١م.

محمد منير الجنبار: الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين، مطابع الفرزدق التجارية ط١ الرياض ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

محمود محمد سفر: الإعلام موقف: تهامة للطبع والنشر، الرياض ، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، ص١٩،١٨.

محي الدين عبد الحليم: الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، دار نافع للطباعة مصر ط١ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

مي يوسف خليف: بطولة الشاعر الجاهلي وأثرها في الأداء القصصي ، دار قباء للطباعة والنشر، مصر ١٩٩١م.

النعمان عبد المتعال القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

يحيى الجبوري: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، ط٥ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

يوسف خليف: تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي، دارا لثقافة للطباعة والنشر ، مصر ١٩٧٦م،

مناهج البحث الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مصر ١٩٩٧م.